ديوان مجد الإسلام أو (الإلياذة □الإسلامية)

دراسة موضوعية

م.م.ربى عبد الرضا عبد الرزاق التميمي

كلية الآداب

المقدمة

يعد المحور الديني من المحاور ذات الجذور الثابتة، وذات الهيمنة العظيمة الواضحة، في كل زمان ومكان، ومن فضل الله على هذه الأمة أن القرون تمر تلو القرون ورسالة الإسلام ثابتة، قوية لم تخمد أبدا في نفوس وقلوب المسلمين.

فلم يمر عصر من العصور منذ انبثاق الرسالة الإسلامية إلى الآن إلا وقد برز فيه من عظماء التاريخ والأدب من يخلد ذكر الدين الإسلامي، وتعاليمه، يدفعهم إلى ذلك إخلاصهم وإيمانهم بالرسالة السماوية؛ لأنها رسالة الحق والخير، رسالة الخروج من الظلمات إلى النور.

والأمثلة كثيرة على من استخدم أنفاسه، وسخر ما أكرمه الله به في إعلاء كلمة الإسلام، وجعل راية الإسلام مرفرفة على مر العصور، والى من عمل على تذكير المسلمين بتاريخ أسلافهم، ليقوموا بربط ماضي أمتهم التليد بحاضرها المجيد.

وإذا كانت الأمثلة كثيرة فأننا نكتفي في الاستشهاد بديوان مجد الإسلام للشاعر الإسلامي الكبير أحمد محرم، الذي شاء الله تعالى له أن ينظمه ليستعيد شباب الأمة أمجاد أسلافهم، وليؤكدوا أن نور الله لا يمكن أبدا أن ينطفيء في القلوب.

ومن الله التوفيق

الفصل الاول
التعريف بحياة الشاعر وعصره

أ- أسمه وولادته:

هو أحمد محرّم بن حسن بن عبد الله[١] شاعرٌ مصريٌ لأبوين تركيين، الوالد تركي صميم من أبناء المماليك الشراكسة، والوالدة اختلط نسبها بالدم المصري وتنسب إلى عائلة (الدرملّي) الشهيرة بالقاهرة[٢].

ولد أحمد محرم سنة ١٢٩٤هـ/ ١٨٨٧م... في قرية (أبيا الحمراء) من قرى الدلنجات في حي باب الوزير من أحياء القاهرة بمصر، ولد في شهر (محرّم). ويغلب الظن أن أباه لقبه بهذا اللقب لمولده في شهر محرم[٣].

كان والده محباً للقراءة شغوفاً بالأدب مصاحباً لأهله من شعراء وكتاب. فأحضر له معلمين من علماء الأزهر. ودرس على أيديهم علم النحو والعروض، وسائر العلوم، وحفظ القرآن، كما شغف بدراسة السيرة النبوية، والتاريخ ومطالعة الحديث الشريف، وقرأ كثيراً من كتب الأدب والجرائد والمجلات(٤).

برز في الشعر منذ صباه حتى انه نال شهادة الامتياز بين (شعراء النيل) من لجنة التحكيم التي تولت النظر في القصائد المقترحة على كبار الشعراء فيما كان يسمى (عيد جلوس الخديوي) سنة ١٩١٠م(٥).

التحق بمدرسة العقادين بالقاهرة، ثم بمدرسة الجيزة، وسكن دمنهور بعد وفاة أبيه، فعاش يتكسب بالنشر والكتابة (مثالاً لحظ الأديب النكد)(٦).

ب- حياة الشاعر الوطنية:

يمثل محرّم وحافظ وشوقي وخليل مطران التيار الأول. وقد قام ممثلوا التيار الأول بصياغة مشاعر القومية المصرية، بعد أن كان الجو السياسي والاجتماعي يمر بشبه مخاض قوي يهدد بانفجار شعبي شامل، فقد كان الشعب المصري يتحسس آلامه ومصائبه؛ إذ كان لفشل ثورة ١٩١٩م أكبر اثر في تخلي بعض رجال الفكر والأدب عن دورهم في القيادة، إلا أن بعض الأحداث المهمة كحادثة (دنشواي)(٧) المعروفة والتي هزت الضمير العربي والإنشائي- لأدباء والشعراء- استطاعت أن تلهب مشاعر الشعراء والأدباء وتدفع بهم إلى التصوير الواقعي لحقيقة ما كان عليه الشعب؛ فالشعب كان يبحث عمن يقوم بدور التوعية في حمل لواء القضايا الكبرى والدفاع عنها، فكان شوقي وحافظ ومطران ومحرم المنابر الداعية لخلق سلطة ثالثة بين السلطتين (سلطة الاستعمار وسلطة الخديوي)(٨).

كان الاحتلال البريطاني الذي وقعت مصر في براثنه هو أول حدث في عصر الشاعر، بعد ذلك أخذت الدعوة إلى الجامعة الإسلامية تحتل مركز الصدارة في عقول المفكرين، بعدما رأوه من سيطرة الاستعمار الغربي على بلاد الإسلام. فالجامعة في نظر الشاعر أحمد محرم كانت رمزاً لجمع شمل المسلمين، وظل يستظل به العالم الإسلامي، فوقف إلى جانب الخلافة العثمانية، مهاجماً أعداءها مطالباً المسلمين الالتفاف حولها، محذراً من التشتت والضياع الذي يريده الأعداء. ولعل الدافع الأساسي إلى مدح الخليفة التركي من

قبل الشاعر والشعراء في تلك الفترة يعود إلى: «اعتبار الخليفة رمزاً لوحدة المسلمين، وشعاراً لفكرة الجامعة الإسلامية التي آمن بها الكثيرون في تلك الأحايين»[٩]. فعندما نبحث عن الخلافة في شعره نجد ذلك النبع الصافي من قلب مؤمن بمجد الإسلام، وقد وقف حياته في الدفاع عنه والإشادة بمحاسنه، والدعوة إلى الرجوع إلى تعاليمه، فهو عندما يتحدث عن الخلفاء إنما يتحدث عن العاطفة الدينية الجامعة، والخلافة خير مصداق لها[١٠].

ولما برزت على ساحة العمل الوطني (قضية فلسطين) ومأساة شعبها بعد وعد بلفور سنة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م. كان أحمد محرم في طليعة الشعراء العرب الذين دعوا إلى إيقاظ الهمم وتوعية الشعور والوجدان مطالبين بأعلى أصواتهم بالجهاد والنضال، فالشاعر استخدم صوته لبث شعره وجعله أداة لبث الحمية في نفوس الثائرين[١١].

كما كان الشاعر من دعاة الإصلاح الاجتماعي والوحدة الوطنية لاسيما بعد مقتل (بطرس غالي) رئيس وزراء مصر. على يد شاب من شباب الحزب الوطني، فنرى الشاعر يدعو إلى التسامح والمحبة ونبذ أسباب الفرقة والشقاق بعد أن هاجت الفتنة بين المسلمين والأقباط[١٢].

ونود الإشارة إلى جانب اتجاه الشاعر الوطني كانت لأحمد عناية بقضايا وطنه الاجتماعية، فمن ذلك دعوته إلى علاج مشكلة الفقر وله أكثر من قصيدة في هذه المشكلة وهو: «قوي في شعوره غني في تصويره، جريء في تعبيره، مما يدل على شدة انفعال، وفرط حساسية»[١٣].

ج- وفاته:

توفي أحمد محرّم في (٢ رجب ١٣٦٤هـ) الموافق يوم الأربعاء ١٣ من يونيو سنة ١٩٤٥م. وهنا يسكت البلبل عن الشدو ويتحطم الوتر فضاع النغم في فضاء الأبدية، وجفّ النبع ومات أحمد محرم على فراش الفاقة والبؤس، توفي ودفن في دمنهور. تاركا ثروة شعرية ضخمة مابين مخطوط ومطبوع[١٤].

بعد هذه الجولة السريعة في حياة الشاعر أستطيع أن أدلو بدلوي وأقول إن الذي يبدو لي والله أعلم أن عدم ذيوع صيت الشاعر من الشهرة التي كانت لمعاصريه من الشعراء كـ(أحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، وغيرهم كثير). عيشه في الفقر والفاقة، وجعله مثالاً لحظ

الشاعر النكد هو بعده عن العاصمة القاهرة. كان يسكن دمنهور فهو بعيد كل البعد عن أضواء العاصمة، كذلك كانت فيه عزة النفس والإباء اللذان يمنعانه من مدح ملك أو رئيس، كما كان يفعل شعراء جيله السابقون له واللاحقون. فاعتزازه بنفسه أثر في أن لا يأخذ ما يستحقه من التقدير والتكريم الذي يستحقه. في حين تمتع بها من هو أقل منه موهبةً وعلماً وملأ الدنيا ضجيجاً.

يقول الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي: «كثيراً ما كان هذا الإباء وعلو النفس سبباً في حرمانه من خير كثير كان يستحقه بما له من مكانة أدبية وقدم راسخة في فقه العربية وأدبها»(١٥).

ولكنه يبقى يمثل الفريق الجاد من أدباء الأمة وشعرائها الذين يوجهونها ويأخذون بزمامها إلى الخلق والمثل العليا.

الفصل الثاني
حديث عام عن الديوان

أ- سبب تأليفه لديوان مجد الإسلام:

لديوان مجد الإسلام حكاية طويلة رأينا أن من الواجب علينا أن نقف على هذا الجانب ونكتب عن سبب تأليف الشاعر لإلياذته الإسلامية تلك الإلياذة التي سعى فيها إلى استعادة شباب الأمة العربية الإسلامية أمجاد أسلافهم والتغني بأمجادهم، فالحدث الإسلامي فاق الأحداث الإنسانية على وجه الكرة الأرضية قاطبةً. فكيف لا يكون للعالم الإسلامي ما يذكرون فيه أمجادهم كما هو شأن اليونان عندما يتغنون بأمجاد أسلافهم في الإلياذة لـ(هوميروس)، والفردوس في (شاهنامة الفردوسي) وهم أهل الوثنية. فلابد أن يكون للعرب ما يحيي ذكر أجدادهم وليكونوا مثالاً يحتذى به كما يقال خير خلف لخير سلف. ولا بد أن ننوه هنا انه لا يوجد أي وجه مقارنة بين الإلياذة الإسلامية وبين إلياذة هوميروس. فالأولى كما ذكرنا أرادت أن تحيي أمجاد العرب وبطولاتهم وما عانوه في سبيل نشر الدعوة الإسلامية، وان يقدم خلاصة نقية من كل شائبة للتاريخ الإسلامي؛ لأنه يستمد حوادثه من الواقع فيصوغه بقالب شعري متكامل الفن والأداء. أما إلياذة هوميروس فكان عنصر الخيال الذي

يضيفه الشاعر من نسج خياله هو أهم عنصر فيها فالإلياذة اليونانية تعتمد على الأسطورة والخيال وهذا لا يكون في ديوان (مجد الإسلام).

نعود إلى الفكرة الأولى التي انطلقت منها لإخراج هذا العمل العظيم إلى النور وهذه النقطة يتحدث عنها أحمد محرّم نفسه في أوراقه الخاصة. في نص خطابي بعث به السيد محب الدين الخطيب صاحب مجلة الفتح في الخامس والعشرين من ربيع الأول سنة ١٣٥٣هـ يعرض عليه فيه فكرة النهوض نستخلص منه: «سيدي الأستاذ الجليل مفخرة البيان العربي وشاعر مِصْر الكبير الأستاذ أحمد محرم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فإن من دلائل رضاء الله عز وجل عن حركة الجهاد الضئيلة، لوقف هذا الطغيان على الفضائل انشراح صدركم لتأييده، وتصدقكم ببعض الوقت للوقوف في صفوفه، وربَ فارسٍ واحدٍ خير من ألف. وكنت هممت غير مرة أن أكتب إليكم أقترح عليكم مشروعاً كنا نحاول إقناع شوقي بك رحمه الله به، ولكن خشيت أن يصرفكم ذلك عن معاني الجهاد الأخرى، وهذا المشروع هو إرسال نظركم الكريم بين حين وآخر إلى مفاخر التاريخ الإسلامي الخلقية والعمرانية والسياسية والإصلاحية والحربية... الخ. ونظم كل مفخرة منها في قطعة خالدة تنقش في أفئدة الشباب، فإذا زخر أدبنا بكثير من هذه القطع، وعلى اختلاف أوزانها وقوافيها أمكن بعد ذلك ترتيبها بحسب تاريخ الوقائع وتأليف إلياذة إسلامية من مجموعها. أليس من العار أن يكون للفرس الذي حفل تاريخهم زمن جاهليتهم بالشنائع ديوان مفاخر يغطى فيه البيان على العيوب ويلون ذا الوجهة منها بألوان زاهية ويسلط على ضئيل الخير منها شعاعاً قوياً مكبراً بأعظم المكبرات فتكون من ذلك (شاهنامة الفردوسى) وان يكون لليونان زمن وثنيتهم وأوهامهم الصبيانية ديوان مفاخر كالإلياذة تتغنى بها الإنسانية إلى يوم الناس هذا...، ثم يواصل الكاتب خطابه فيتحدث عن الإسلام وبأنه أعلى مرتبة وأعظم محامد. وان الذي دون التاريخ الإسلامي رجلان رجل يسوء محاسن الدولة القديمة. ورجل اتخذ من الشموس الأربعة (أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي) مثلاً أعلى... ثم يقول في خطابه إن الذي قصر فيه المؤرخون من جانب التاريخ الإسلامي ولم يعطوه حقه لا يستطيع أن يستدركه إلا الشعراء، وان أكثر أشعارهم مسروقة من دواوين الإنكليز، فليس عندهم وقت لمراجعة تاريخ العرب والإسلام.

ويختم السيد محب الدين قوله: أكثرت عليكم ولكني لم أجد قلبا أفضي إليه ببعض ما في قلبي غير قلبك وقد يكون أن اختصك الله بهذا الفضل فألهمني أن اشغل هذه الصفحات وهذه الدقائق بالإفاضة إليك به. وعليكم السلام ورحمة الله»(١٦).

هذا جزء مقتضب يبين الشرارة الأولى التي انطلقت لتؤجج الشعلة فإذا بها ديوان يفوق الإلياذة اليونانية والفارسية لما فيها من صدق الوقائع وحقيقة واقعية لأحداثها الزمنية المتسلسلة في قالب شعري متكامل البناء الفني متماسك التعبير واضح المعالم قوي في التعبير عن كل معركة وحادثة.

ب- مقدمة عامة عن محتوى الديوانُ:

كان أحمد محرم من بين شعراء الأمة العربية الذين عنوا بتصوير التاريخ الإسلامي تصويراً رائعاً، وتحدثوا عن غزواته وبطولاته وتضحيات أصحابه ونصرتهم للرسول ﷺ ولدعوته، فلم تخل أشعار كبار شعراء العصور السابقة من هذه الأنفاس الإسلامية كأبي العتاهية، وأبي تمام، والبحتري، والمتنبي.

ويرى بعض الباحثين إن أشعار أبي تمام، وأبي فراس الحمداني، تشكل لوناً من الصراع ضد الروم بما تحمل من أخبار المعارك الإسلامية التي كانت تقوم للدفاع عن بلاد الإسلام والمسلمين(١٧).

فالسيرة النبوية التي كتبها ابن إسحاق تكتظ بالشعر الذي نظم في دعوة الرسول ﷺ ونصرة أنصاره له. كالشعر الذي نظمه حسان ابن ثابت، وعبد الله بن رواحة وغيرهم كثير. وقصيدة احمد شوقي في مدح الرسول ﷺ التي يقول في مطلعها:

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناءُ
الرُّوحُ والملأُ والملائكُ حولهُ للدين والدنيا به بشراءُ(١٨)

ولو جمعنا جميع ما كتب عن دعوة الرسول ﷺ منذ انبثاقها إلى الآن لكونت إلياذة أو ديوانا كاملاً، أما أحمد محرم فقد أختص لوحده ديواناً كاملاً يتكون ديوانه (مجد الإسلام) من أربعة مجلدات عمد بها إلى سيرة النبي ﷺ ونظمها على نحو ثلاثة آلاف بيت، مصوراً فيها حياة النبي الكريم ﷺ منذ ولادته حتى وفاته ﷺ ملتزماً بذلك التسلسل الزمني، والوقائع الثابتة والاحداث الصادقة، والمعارك والغزوات يصورها تصويراً دقيقاً واقعياً بعيداً عن الوهم

والخيال والاحداث المفتعلة كما في مطولة (الإلياذة) قسم الشاعر ديوانه إلى أربعة أجزاء نجد في الصفحة الأولى بعد البسملة والتأله. آيات قرآنية تدعو إلى الجهاد من مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[١٩].

وفي الصفحة الثانية كلمات لبعض أئمة التابعين في علم المغازي والسير[٢٠]. سمي الشاعر الجزء الأول من ديوانه (مطلع النور الأول من أفق الدعوة الإسلامية) تحدث فيه عن حياة الرسول ﷺ في مكة وعن هجرته من مكة إلى الطائف. ثم استقراره بالمدينة ومؤاخاته بين المهاجرين والأنصار. وموقفه من اليهود والمنافقين. ونلاحظ إن الشاعر كثيراً ما يقدم للفصل بقطعة نثرية تكون تمهيداً لموضوع القصيدة التي يعرض لها بالتمهيد سواء أكان ذلك في حديثه عن المهاجرين والأنصار أو في حديثه عن اليهود والمنافقين، أو عندما يتحدث عن الغزوات والسرايا والوفود.

ثم تحدث بعد ذلك عن أهم وأشهر غزوات الرسول ﷺ، وهي غزوة بدر. وقد بدأها بمقدمة نثرية تمهيداً للقصيدة، وتحدث عمن قتل من المشركين وابتدأ بمقتل أبي جهل. كما تحدث عن صدى الوقعة في مكة وفرح المسلمين وحزن المشركين. ثم تحدث عن غزوة بني قينقاع وهم: «أول من نقض العهد وغدر من اليهود، فأظهروا البغي والحسد بعد وقعة بدر»[٢١].

ثم مضى يتحدث عن الغزوات وما وقع فيها من أحداث. كغزوة أحد، وغزوة بني النضير، وغزوة بني قريضة، والخندق، وهي غزوات: «يلمع وميضها في جبهة الإسلام، ويتألق لألاؤها في قلوب المسلمين»[٢٢]. امتد حديث الشاعر إلى بقية الجزء الأول والثاني والثالث. وختم الجزء الثالث بـ(مسجد ضرار).

وفي الجزء الرابع تحدث عن عام الوفود. وقد ابتدأ بوفد نصارى نجران وكانوا ستين رجلاً...، ووفد الاشعريين، ثم وفد ثقيف[٢٣].

مضى الشاعر يتحدث عن الرسل والكتب التي بعث بها إلى الملوك والحكام. ثم تحدث بعد ذلك عن السرايا التي أرسلها الرسول ﷺ إلى مختلف أنحاء الجزيرة العربية وابتدأها بـ(سرايا زيد بن حارثة).

ختم الشاعر ديوانه بآخر عمل قام به الرسول الأعظم قبل لقائه الرفيق الأعلى، وهو إرساله ﷺ سرية أسامة بن زيد بن حارثة ﷺ إلى غزو الروم.

في ضوء مطالعتي لنسخة الديوان التي بين يدي لم أجد فيها سوى مقدمة بقلم (محمد إبراهيم الجيوشي) بين فيها سبب تأليف الشاعر للديوان كما لم أجد أن الديوان مقسم إلى أجزاء أربعة وإنما وجدته قطعة كاملة وبدون إشارة إلى أن هذا جزء أول وجزء ثاني، وقد استطعت أن استدل على أجزاء الديوان من خلال استعراض الأستاذ محمد إبراهيم الجيوشي للديوان في المقدمة رقم ١[٢٤].

ج- الآراء التي قيلت في الشاعر وفي ديوانه :

من المعلوم أن احمد محرم من شعراء مدرسة (البعث والإحياء) تلك المدرسة التي حمل لواءها محمود سامي البارودي ومن بعده، أحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، واحمد نسيم، ومحمد عبد المطلب، وأحمد محرم، وعلي الغاياتي، وأحمد الكاشف، وغيرهم. كما تأثر بآراء هذه المدرسة جيل لاحق من أمثال أحمد رامي وعلي محمود طه، وعزيز أباظة، وقد عملوا على إعادة الشعر العربي إلى سالف عهده من البهاء والرونق، كما كان في عهد الشعراء الكبار كأبي تمام والبحتري والمتنبي... الخ.

كان الطابع الغالب على أدب هذه الحقبة هو: «طابع المحافظة واستلهام الماضي، أو اتخاذ التراث العربي المشرق الذي خلفته عصور الازدهار نقطة انطلاق نحو أدب معاصر. وليس معنى ذلك أن التيار الفكري المتجه إلى الحضارة الغربية لم تكن له آثار أدبية تصوره، وإنما الذي يراد تقريره هو أن هذا التيار الغربي كان في تلك الفترة في طور التمهيد والإعداد الفكري لظهور الأدب الذي يمثله»[٢٥].

ونحن نطلع على رأي أحمد محرم في التجديد نراه يقول: «تدور المعركة بين الجديد والقديم، من الشعر، ولقد قلت أن الشعر في أصوله وأحكامه، أبدي لا يتحول، ولا يخضع لأهواء النفوس، ومحاولات العقول، ومن يزعم أن الشعر في مقاصده وأغراضه يذهب مذهباً واحداً، ويجري على سجية واحدة، فما هو من أهل الجد، ولا من ذوي البصارة، وهذا هو الشعر في زماننا ألا تراه صورة ناطقة من حياتنا؟ وهل من المستطاع أن يكون غير ذلك؟»[٢٦].

يتضح من قول الشاعر انه يمضي مع جيل الشعراء المحافظين وهو جيل مضى بأكمله بعد البارودي وعلى نهجه الذي حرص فيه على رصانة الشعر، وقوته، وسلامة قافيته، مع الاحتفاظ بالنغم الموسيقي، واللفظ المنتقى، ووضوح المعنى، والسير على نظام الاقدمين في نظم القصيدة، فالاتجاه التقليدي في نظر من يسير على نهجه، اتجاه جامد تقيده الأكلاف اللفظية، والمحسنات البديعية لتسترد رداءة الموضوعات، وبرودة المشاعر.

ولقد برز من الأدباء والنقاد في عصرنا الجديد من قدر شاعرية أحمد محرم على أن هناك من قلل من قيمة ما جاء به في ديوانه لأسباب سنذكرها لاحقاً من خلال استعراضِنا لأهم الآراء.

فممن قدر شاعرية احمد محرم الأديب خليل مطران الذي كان يصف احمد محرم بـ«شاعر العربية الفحل وأديبها الكبير»[٢٧].

يقول عنه: «فلو سألت عنه جملة لأجبت أنه ليس من الصباغين المتقنين للتلاوين، وليس من الرسامين المجيدين للتصاوير، لكنه بلا منازع ولا مدافع أمهر ناسج على منوال فصحاء العرب، وليس هذا بقليل»[٢٨]. كلامه يدل على أن الشاعر لم يكن من أصحاب الزخرفة اللفظية، وإنما هو من الشعراء المحافظين على الموروث الشعري.

أما ولي الدين يكن فيقول معبراً عن رأيه: «أحمد محرم في شعره نسيج وحده، وهو أقرب الشعراء المعاصرين ديباجة من شعراء العرب، وما زال يعاني ذلك في أول أمره معاناة حتى ملكه اليوم، وصار ملكه في طبعه، وليس في طبع الشعراء طبع أدل من طبعه وطبع حافظ إبراهيم على جودة الألفاظ، وكما أن خليل مطران فاق النظراء، بل فاق كثيراً من القدماء في الفاظهما وتراكيبهما... وأقرب وصف في هذا الباب أن يقال: أن خليلاً أبلغ شعراء زماننا، وأن محرماً وحافظ أفصحهم»[٢٩] الملاحظ أن ولي الدين جعل احمد محرم وحافظ إبراهيم في كفة ميزان واحدة ثم عادلهما بـ(خليل مطران) من حيث إمكانية الثاني في معانيه التي فاقت القدماء، ومن حيث إمكانية محرم وحافظ في الفاظهما وتراكيبهما التي فاقت القدماء فمحرم وحافظ عنده هم أفصح الشعراء قاطبة.

أما احمد زكي أبو شادي فهو لا يرى عبقريته من خلال فصاحة ألفاظه وإنما يراها من خلال امكانيات مجتمعة، ولنستمع في تعقيب له على الكلام السابق لولي الدين يكن فيقول: «بيد أن الشعر ليس مسألة فصاحة ألفاظ، ومهما يكن الجرس الموسيقي رائعاً في

شعر محرم، ومهما تكن فصاحته ناصعة وديباجته مشرقة، فليس شيء من هذا بالذي يكفي وحده ليخلق له منزلة فنية، وإنما الذي خلق له تلك المنزلة– قبل كل اعتبار آخر– حرارة عاطفته، وحرارة إيمانه القوي، وتذوقه الجمال، وتحليق خياله، وذكاؤه الخارق الذي يجعل تأملاته عميقة نافذة»(٣٠).

أما الشاعر والناقد حسن كامل الصيرفي فقال: «إني لأقرأ البيت من شعر احمد محرم فأحس كأن صدى أنغام عذبة تطوف على خاطري في حلم جميل، إلى جانب هذه الموسيقى التي يتساءل عنها في قصيدة (وجودي) والتي يلمس تأثيرها في أنفس قرائه فيقول:

أمِـــن أدبـــي تبيـــت الطيـــر تبكـــي فمـــا ادبـــي: أشـــدوٌ أم رنـــين؟

تتجلى تلك الديباجة العالية وتلك الجزالة السامية التي يقرها فيه أدباؤنا ولن أكون إلا محقا حين أقول أنه كان يمتاز على حافظ إبراهيم في الرنين العذب الذي صحب شعره الناضج ولازمه، إلا أن مرض الشرق الذي يظميء الفنان الموهوب، والالتفات الدائم إلى صوت أو صوتين دون أن يلتفت إلى بقية الأوتارالجميلة التي تؤلف أنشودة الخلود حالا دون التقدير الكافي لشاعرية أحمد محرم»(٣١).

فالشاعر حسن كامل يشير في قوله إلى بعض الآراء التي تغمط حق الشاعر ولا تعطيه قدره، ولا تنظر إلى شعره كما تنظر إلى شعر غيره من الشعراء وقد يكونون اقل منه شاعرية، فهم لا ينظرون إليه يعني الكتاب والنقاد نظرة عدل وإنصاف.

أما الدكتور شوقي ضيف فكان من أشد الناقدين لديوان مجد الإسلام ويرى أن الإلياذة فاقت الديوان على كل ما فيها من خيال وأسطورة وخرافة فيقول: «وأكبر الظن انه قد أتضح لنا الآن صوت محرم في هذه الإلياذة بكل سماته وخصائصه، فهو لا يكتب ملحمة كالملحمة التي كتب فيها هوميروس إلياذته، وإنما يكتب أو قل ينظم سيرة الرسول ﷺ وفرق بين نظم السير والشعر القصصي؛ ذلك أن الأول عمل آلي، فالشاعر يقرأ التاريخ ثم يحوله شعراً أو قل يحوله نظماً، وهو لذلك لا يعالج حرباً ولا ملحمة بعينها وإنما يعالج سيرة مطولة فيها الحرب وفيها غير الحرب»(٣٢). فهو يرى الشعر الذي ضمه ديوان (مجد الإسلام) شعراً جافاً جفافاً شديداً كونه خالياً من كل عنصر للتشويق والإثارة. وبذلك يكون خالياً من الحياة والحركة. فهو مجرد عملية نقل حقيقية لتاريخ حقيقي، فالشاعر في نظر الناقد لم يتمكن من صياغة المشاهد بطريقة تبعث فيها الحياة، وكأننا نعيش الحدث، فالشاعر لم يعط مجالاً

لخياله في صياغة الحقيقة، وإنما اعتمد على القالب الحقيقي للحدث، كما فعل أصحاب المتون وكتب التاريخ، وليس كما فعل هوميروس عندما أطلق العنان لخياله في إلياذته.

وأثناء نقده لديوان مجد الإسلام عقد مقارنة بين (الإلياذة) لهوميروس، وديوان (مجد الإسلام) فقال: «وهذا هوميروس لم ينظم الآلاف المؤلفة من إلياذته في حرب طروادة كلها التي ظلت عشر سنوات طوالاً، وإنما نظمها في حوادث سنتها الأخيرة، وفسح لخياله في العدو والانطلاق، فإذا هو يعطينا هذا العمل الخالد، ولست اقصد الحقيقة التاريخية كما هي، وإنما اقصد حقيقة فنه التي لا تنحرف بالتاريخ ولا تختلف معه، ومع ذلك فهي أروع منه ومن حقائقه الجافة»(٣٣).

ثم يقول: «وهناك أدلة كثيرة على أن محرماً لم تكن له موهبة الشاعر القصصي لا من حيث انه جمع سيرة الرسول ﷺ كلها في مجموعة من القصائد الجافة، وإنما أيضا من حيث انه لم يستغل الفرص التي وآتته في هذه السيرة، ليلعب خياله وينشط ذهنه، ومن الفرص الذهبية التي ضيعها فرصة الإسراء والمعراج، وأكثر المسلمون من الكتابة فيها والقصص حولهما شعراؤنا، ومعنى ذلك أنهما كنزان عظيمان لصنع مادة قصصية ضخمة، ولم يحاول شاعرنا أن يحتكر لنفسه شيئاً من هذه المادة»(٣٤).

ثم يعود الدكتور شوقي ضيف ليعط خلاصة لكل ما ذكره فالديوان مسبوق بالعمل والفكرة ولم يكن شيئاً جديداً، ولا يمكن أن نسميها أو يسميها صاحبها بالإلياذة، فهو مجموعة قصائد في سيرة الرسول ﷺ وغزواته، وان قراءتها سرعان ما تبعث فيك السأم والملل؛ وهي لذلك شعر غنائي تعليمي جاف، فالغنائية فيها ضعيفة إذ ليس فيها مشاعر ولا صور حية، وإنها ليست في شيء من الشعر القصصي؛ لأنها تفقد أهم أركان القصة وهي الخيال القوي النافذ الذي يقص الأسطورة فيجعلك تستشعرها وتلمها بكل تفاصيلها وجزئياتها(٣٥).

تلك بعض أقوال الدكتور شوقي ضيف في نقده لشعر احمد محرم وتحديداً ديوانه مجد الإسلام.

والذي يبدو لي أن الشاعر أحمد محرم لم يقل أن ديوانه قصصي ولم يطلق عليه أسم الإلياذة، وبعض الكتاب هم من أطلق عليه أسم الإلياذة، وان هناك من راح يعقد المقارنة، وكما ذكرنا سابقاً أنه لا يوجد مجال للمقارنة. فالشاعر أراد أن يسجل أمجاد الأمة الإسلامية لتكون دروساً وعبراً للجيل القادم. فهي شعر غنائي تعليمي توجيهي، يبعث فيه

الشاعر مشاعره وأحاسيسه إزاء ما يتأثر به، فهي لوحات فنية تبعث في دينهم الإسلامي الإجلال والتقديس، أراد أن يجعله تاريخاً وثائقياً عن تاريخ الدين الإسلامي منذ انبثاق شرارته الأولى، ولذلك رتبه ترتيباً زمنياً متبعاً الأمانة والصدق مبتعداً عن الخرافة والنسج الخيالي. هذا ما أرآه والله أعلم.

الفصل الثالث
الدراسة الموضوعية

١- موضوعات ديوانه :

كان المحور الديني ثابت الجذور، واضح المعالم، بارز الهيمنة، لذلك لم يستقل المحور الديني عن الأغراض الشعرية التي عرفناها من (المديح، الرثاء، الهجاء، الفخر والحماسة...، إلخ) وإنما تداخل الدين مع هذه الأغراض وراح الشعراء يتحدثون عن معالم الدين باستخدام هذه الأغراض فالشعر الديني لم يعد: «مجرد سرد لأوصاف الرسول محمد ﷺ وحده، وإنما تجاوز الشعراء ذلك وانطلقوا إلى وصف فلسفة العبادات وآثارها الايجابية، وتناولوا القضايا المهمة كانتشار الإسلام بالسيف والقول، وأنتشر الأسلوب القصصي بالحديث عن الشخصيات والأحداث للدولة الإسلامية»(٣٦).

ولذلك راح الشعراء يكتبون عن الإسلام وعن مولد الرسول ﷺ، فهذا شوقي يكتب (همزيته) الشهيرة، وحافظ يكتب (عينيته)، ومحمد عبد المطلب يكتب (علويته)، وعمر أبو ريشة يكتب (خالديته)، وأحمد محرم لم يكتب همزية أو عينية وإنما راح يكتب ديواناً كاملاً منوع الأغراض والقوافي، ديوانا يتألف من خمسة الآف ومائتي بيت وزعها على تسعا وستين ومائة قصيدة، نوع في الأغراض الشعرية ولم يكتف بغرض واحد فقد شمل على المديح، الهجاء، الرثاء، والوصف... الخ.

أ- المديح:

يعد المديح أبرز أغراض الشعر العربي من الجاهلية إلى العصر الحديث، فلو تتبعنا دواوين الشعراء على صعيد العصور الشعرية لا يكاد يخلوا ديوانٌ من غرض المديح

فهو: «أحد قواعد الشعر الأربع هي (الرغبة، والرهبة، والطرب، والغضب، ومع الرغبة يكون المدح والشكر)»[٣٧].

أما الرغبة فهي رغبة الشاعر في تعداد محاسن وصفات الممدوح الحميدة، وهذه الصفات روح القصائد في العصر الجاهلي، فالشاعر الجاهلي وكما هو معروف كان يبدأ قصيدته المدحية بمقدمات الغزل، أو الوقوف على الأطلال واستدعاء الصحب للاستذكار والبكاء كما فعل أمرؤ القيس في معلقته[٣٨]، أو وصف الإبل كما هو الحال عند طرفة بن العبد عندما شبه الإبل بالسفن العظام[٣٩]، أو وصف الحب ولوعاته عند عنترة بن شداد العبسي عندما وصف حبه لعبلة ابنة عمه[٤٠]، ثم يخلص الشاعر إلى غرضه الذي يصبو إليه هذا في العصر الجاهلي.

أما في العصر الإسلامي فقد ظهرت بعض تعاليم وقيم إسلامية جاء بها الدين الإسلامي الحنيف تطغى على جميع ما توارث من الشعر الجاهلي من أغراض يسيرون عليها ويحتذون حذوها، فالمدح في الجاهلية كان يقوم كما ذكرنا على تعداد صفات الممدوح، حتى إن لم تكن فيه تلك الصفات أو بعضها، وفي الحديث عن شجاعة الممدوح وكرمه وعزة نفسه وأباه.

أما المدح في الإسلام فكان يقوم على من يقوم بتطبيق تعاليم الدين الإسلامي من العدل، والالتزام بتطبيق العدل والمساواة بين الرعية، والكف عن المحرمات، من شرب الخمر، والقمار واستباحة النساء... الخ، كما يقوم على تبليغ أحكام القرآن، وتأدية تعاليم الرسالة، وكيفية انتشار الإسلام تارة بالسيف وتارة بالقول، فالممدوح يجب أن يخضع لشروط عصره[٤١].

وأحمد محرم هو أحد الشعراء الذين نظمو في هذا الغرض وكان المديح عنده ناتج عن رغبة، وناتج عن حقيقة في أن يمدح ممدوحه وان اختلفت مراتب الممدوح. وقد بلغت مدائحه القمة لما فيها من فضائل إسلامية وقيم سامية، ولاسيما ما يتعلق بالمديح النبوي وهو الشطر الأول من المديح الذي سنتناوله بالدراسة، أما الشطر الثاني فيشمل المصلحين من رجالات العصر وأصحاب الرسول ﷺ ومن وقفوا معه وافدوا أرواحهم وآثروا تقديم أنفسهم على نفسه ﷺ.

ومن قصائده التي نظم الشطر الأول من مدائحه قصيدته الأولى التي افتتح بها الديوان (مطلع النور الأول من أفق الدعوة الإسلامية) والتي يقول في مطلعها:

امـــلأ الأرض يـــا محمـــد نـــوراً وأغمـــر النـــاس حكمـــةً والـــدُّهورا
حجبتـــك الغيـــوب ســـراً تجلـــى يكشـــف الحجـــب كلهـــا والســـتورا
عـــبَّ ســـيل الفســـاد فـــي كـــلَّ وادٍ فتـــدفقْ عليـــه حتـــى يغـــورا(٤٢)
جئـــتَ ترمـــي عُبابـــهُ بعُبـــابٍ راح يطـــوي ســـيولهُ والبحـــورا
ينقـــذُ العـــالم الغريـــقَ ويحمـــي أُمـــم الأرض أن تـــذوق الثبـــورا(٤٣)
زاخـــر يشـــملُ البســـيطة مـــدّاً ويعـــمُّ الســـبع الطبـــاق هـــديرا(٤٤)
أنـــت معنـــى الوجـــودِ، بـــل أنـــت ســـرٌ جهـــل النـــاسُ قبلـــه الاكســـيرا(٤٥)
انـــت أنشـــأت للنفـــوس حيـــاةً غيـــرت كـــل كـــائنٍ تغييـــرا
أنجـــب الـــدَّهرُ فـــي ظلالـــك عصـــراً نابـــهِ الـــذكر فـــي العصـــور شـــهيرا
كيـــف تَجـــزى جَميـــلَ صُـــنعك دُنيـــا كنـــت بعثـــاً لهـــا وكنـــت نُشـــورا؟
ولـــدتك الكواكـــبُ الزَّهـــرُ فجـــراً هاشـــميَّ الســـنا، وصُـــبحاً منيـــراً...(٤٦)

ثم يقول مبيناً كيف كان العالم قبل مبعثه ﷺ، وكيف كانت نظرة الناس للحياة فهي عندهم عبارة عن إفكٍ وزورٍ، وبغيٍ وفجورٍ وطغيان، ونكران للرب الواحد وعبادة الأرباب المتعددة إلى أن جاء دين الهدى وهب الرسول ﷺ لحماية لواءه وحمل رايته فيقول:

أنكـــر النـــاس ربهـــم وتولـــوا يحســـبون الحيـــاة إفكـــاً وَزورا
أيـــن مـــن شـــرعة الحيـــاة أنـــاسٌ جعلـــوا البغـــي شـــرعةً والفجـــورا؟
تلـــك أربـــابهم أتملـــك أن تنـــ ـفـــع مثقـــال ذرة أو تَضـــيرا؟
قهروهـــا صـــناعة، أعجـــب الارْ بـــاب مـــا كـــان عـــاجزاً مقهـــورا
مـــا لـــدى (الـــلات) أو (منـــاة) أو(العُـــز ى) غنـــاءٌ لمـــن يقـــيسُ الامـــورا...(٤٧)

ثم يمضي الشاعر بالمديح إلى أن يختم قصيدته بالموقف الذي كان من رسول الله ﷺ عندما دخل عليه عمه أبو طالب. ناقلاً ما جاء على لسان سادات مكة من الكفار، من تمليك الرسول ﷺ مفاتيح الكعبة وكل ما يطلب من المال، وجعله سيدا وأميرا، وجعل المال سيلا ممطراً، وغيثاً كثيراً:

جـــاءهُ عمـــه يقـــول: أترضـــى أن يقيمـــوك ســـيداً أو أميـــرا؟
ويصـــبوا عليـــك مـــن صـــفوة المـــا ل حيـــاً مـــاطراً، وغيثـــاً غزيـــرا
قـــال: يـــا عـــم مـــا بُعثـــت لـــدنيا أبتغيهـــا، ومـــا خلقـــت حصـــورا(٤٨)
لـــو أتـــوني بـــالنيرين لأعرضـــ ـــت أريهـــم مطـــالبي والشـــقورا...(٤٩)

فهو: «صاحب رسالة كلفه إياها ربه ذو الجلال، وأمره أن يبلغها الناس، وهو صادع بأمره حتى ينحر الوثنية في بلاده، بل في العالم من حوله، ويحطم أصنامها تحطيما»(٥٠).

ومن مطلع النور إلى (في الغار الأكبر غار ثور) لنجد صاحب الديوان يمدح الرسول ﷺ ويمجده بما أعطاه ربه من منزلة عالية رفيعة لم يعطها أحد قبله من الجلال والرفعة والنزاهة في تبليغ رسالة شبهها الشاعر بالكنز المذخور عند الله جل وعلا:

غـــارَ ثـــور أعطـــاك ربـــكَ مـــا لـــم يُعـــط مـــن روعـــة الجـــلالِ القُصـــورا
أنـــت اطلعـــت للممالـــك دنيـــا ســـاطعاً نورهـــا، ودينـــاً خطـــرا
صـــنته مـــن ذخـــائر الله كنـــزاً كـــان مـــن قبـــل عنـــده مـــذخورا
مخفـــرُ الحـــق لاجئـــاً يتـــوقى قـــام فيـــه الـــروح الأمـــين خفيـــرا...(٥١)

إلى أن يقول مادحاً الدين الذي جاء به رسول الله ﷺ بأنه دين الحق الأول والآخر. واصفاً النبي من خلال المديح بأنه الزعيم الذي تترامى الأجيال بين يديه للهداية، ولتلقي تعاليم الدين الإسلامي من عدل ومساواة، وأنه لا يوجد فرق بين سيد وعبد:

ورثَ المـــالكينَ والرُّســـلَ إلهـــاً ديـــن بـــالحق أولا وأخيـــرا
الحكـــيم الـــذي يهـــد ويبنـــى فيجيـــد البنـــاء والتـــدميرا
والـــزعيم الـــذي يســـن ويقضـــى لبنـــى الـــدهر غيبـــا وحضـــورا
تترامـــى الأجيـــال بـــين يديـــه تتلقـــى النظـــام والدســـتورا...(٥٢)

نكتفي بهذا القدر من مدح الرسول ﷺ لننتقل إلى النوع الثاني من المدح وهو مدح أصحابه ﷺ. وأول ما يقف في طريقنا قصيدة (المطعم بن عدي) مدح فيها الشاعر المطعم بن عدي وما جاء فيه من موقف بطولي شريف، فعلى الرغم من أن المطعم كان كافراً، إلا انه حمى رسول الله ﷺ هو وأولاده في طوافه ﷺ بالبيت عندما خرج من مكة إلى الطائف بعد

موت عمه أبي طالب. وقد قال رسول الله ﷺ في اسارى بدر: «لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له»[٥٣]. يقول مادحاً:

مـــا رأينـــا كـــالمطعم بـــن عـــدي جافيـــاً واصـــلاً، هيوبـــاً جســـورا
آثـــر الكفـــر ملـــة وأجـــار الـــد ـــن مستضـــعفاً يـــدور شـــطيرا[٥٤]
رام بالطـــائف المقـــام فأعيـــا فـــأنثنى يطلـــب الامـــان حســـيرا[٥٥]
وكـــل الله بـــالنبوة منـــه أســـداً يمـــلأ الفضـــاء زئيـــرا
قائمـــا فـــي الســـلاح يجمـــع حوليـــ ـــه شـــبولا تحمـــى الحمـــى ونمـــورا
يمنـــع القـــوم ان يصـــدوا رســـول ا لله عـــن بيتـــه ويـــأبى الخفـــورا
نقـــض الحلـــف مـــن قـــريش فأمســـى أســـلمته العـــرى، وكـــان مريـــرا...[٥٦]

ومن مدحه للمطعم بن عدي إلى مدحه لأبي بكر الصديق، وكيف آثر تقديم نفسه فداءً لرسول الله ﷺ بعد أن لدغته حية وهو يأبى تحريك قدميه حتى لا يستيقظ رسول الله ﷺ وكان النبي ﷺ واضعاً رأسه الشريفة في حجر أبي بكر الصديق ﷺ[٥٧]:

صـــاحب القـــائم المتـــوج بـــالفر قـــان، بوركـــت صـــاحباً ووزيـــراً
أنـــت وآليتـــه، وعاديـــت فيـــه مـــن تـــوخى الأذى، وأبـــدى النفـــورا

إلى أن يقول:

أكـــرم الله ركبتيـــك ولقـــد أعطـــاك ســـبحانه فـــأعطى شـــكورا
أي رأس حملـــت يـــا حامـــل الايمـــ ـــان سمحاً، والبرَّ صفواً طهـورا...؟[٥٨]

ومن مدحه لأبي بكر إلى مدحه (حي بني عمرو بن عوف) وهم من الأوس وكان الموضع الذي بنى فيه المسجد[٥٩]:

بـــورك الحـــيُّ حـــيكم يـــا بنـــي عمـــ ـــرو بـــن عـــوفٍ، ولا يـــزال ممطـــورا
كنـــت فيـــه الضـــيف الـــذي يغمـــر الانـــ ـــفـــس والـــدور نعمـــة وحبـــورا
مـــا رأت مثلـــك الـــديار، ولا حيـــ ـــالـــك القـــوم فـــي الضـــيوف نظيـــرا

إلى أن يقول داعياً لهم بالرحمة والسلام على صغيرهم وكبيرهم:

رحمـــة الله والســـلامُ علـــيكم آل عـــوفٍ، كبيـــركم والصـــغيرا...

وينطلق أحمد محرم ليفيض علينا من مدائحه، وهذه المرة يقف عند المهاجرين والأنصار. وما بذله الأنصار لأجل ضيافة المهاجرين فأنزلوهم منازلهم وأسكنوهم بيوتهم، وما قامت به يد الرسول ﷺ من مباركة عظيمة لهذه الجماعة التي برزت في صورة الفرد الواحد لما قام بينهم من تكاتف وتآخي فيقول:

هي الأواصرُ أدناها الدَّم الجاري ... فلا محالة من حبٍ وإيثار
الأسرة اجتمعت في الدار واحدة ... حييت من أسرة، بوركت من دار
مشى بها من رسول الله خير أب ... يدعو البنين فلبوا غير أغمار(٦٠)
تأكد العهد مما ضمَّ ألفتهم ... واستحصد الحبل من شدٍ وامرار(٦١)
كلٌ له من سراة المسلمين أخ ... يحمي الذمار، ويرعى حرمة الجار
يطوف منه بحقٍ ليس يمنعه ... وليس يعطيه إن أعطى بمقدار
يجود بالدم والآجال ذاهلة ... ويبذل المال في يسر وإعسار
هم الجماعة، إلا أنهم برزوا ... في صورة الفرد فانظر قدر الباري...(٦٢)

ويستمر الشاعر على هذا النهج من المدح على طول امتداد القصيدة والبالغ عدد أبياتها ٤٣ بيتاً.

إلى قصيدة (مصعب بن عمير ﷺ) قاتل مع رسول الله في غزوة أحد قتالاً شديداً حيث صنع الأعاجيب بين يدي رسول الله ﷺ، يدافع عنه ويفديه بنفسه حتى ظن من قتله انه قتل رسول الله لما قطعت يد مصعب اليمنى سقط اللوى أخذه بيده اليسرى فلما قطعت يده اليسرى وسقط اللوى جثى عليه وضمه بعضديه إلى صدره واستمر في القتال حتى قتله عبد الله بن قمئة:

هو مُرتمى الأبطال، مالك دونه ... متزحزح فاصبر له يا مصعب
ولقد صبرت تخوض من أهواله ... ما لا يخوض الفارس المتلبلب(٦٣)
ترمي بنفسك دون نفس محمد ... وتقيه من بأس العدى ما ترهب
تبغي الفداء وتلك سنة من يرى ... أن الفداء هو الذمام الاوجب
....
ما هذه المثل التي لا تنتهي؟ ... هذا هو المثل الابر الاطيب

طـــاح الجهـــاد شـــهيدا صـــادقا أوفـــى بعهـــد الهـــه يتقـــرَّب...[٦٤]

ويستمر على طول القصيدة والبالغ عدد أبياتها عشرون بيتا كلها في مدح بطولة مصعب ﷺ النادرة. قطعت يده اليمنى واليسرى وضم لواء المسلمين إلى صدره ولو يستطيع مد أهدابه لفعل:

لـــو يســـتطيع لمـــد أهدابـــه ســـبباً يشـــد بـــه إليـــه ويجـــذب

يمنـــاه أم يســـراه أعظـــم حرمـــة أم ســـاعداه وصـــدره والمنكـــب...؟[٦٥]

نكتفي بهذا القدر من مدح الرسول ﷺ الواضح ان الشاعر لا يمدح الشخص لذاته أو لكونه أبي بكر الصديق أو مصعب بن عمير ﷺ وإنما يمدحه لما فيه من معاني إسلامية سامية، وجوانب إسلامية عظيمة، فهو لا يمدح (فلان) كونه شجاعا كريما سمحا. هذه معاني عامة نجدها في كل القصائد المد حية، وإنما هو يمدح بصيغة جديدة وبأسلوب جديد (ابتكار معاني جديدة). فهو عند مدحه للرسول ﷺ لم يكن مدحه مجرد تعداد لأوصاف الرسول ﷺ وكذلك في مدحه لأصحاب الرسول ﷺ ليس كما يفعل شعراء الجاهلية ومن جاء بعدهم. يذكر أوصاف الممدوح لأجل النوال والعطاء. وإنما تناول من خلال مدحه قضايا مهمة من ولادة الدين الإسلامي في مطلع النور الأول من أفق الدعوة الإسلامية وانتشاره بعد ذلك بالسيف تارة والقول تارة أخرى، فمدائحه النبوية تميزت بالأسلوب القوي وجمال الصياغة وقوة التعبير وصدقه حتى كأنه كان احد أصحاب الرسول ﷺ وعاش تلك الأحداث، لما جاء فيها من حرارة التعبير فمدائحه النبوية: «نسج فيه برود سندسية وعقوداً جوهرية، بهرت القلوب وسلبت العقول، ووصفها فاق التصور، فأثرت في جذوة الأيمان فزادتها اتقاداً وحيوية ونعشت الأرواح فزادتها سمواً وعروجاً وقرباً من بارئها وخالقها فيالها من منهل سلسبيل وفيض بالمعاني غزيرة»[٦٦].

ب- الهجاء:

من الفنون الشعرية القديمة التي ولدت مع ولادة الشعر العربي، وقد لازم الهجاء الإنسان على مر العصور. فالهجاء: «وليد العاطفة المتأججة حين تثأر بسبب من الأسباب لضيق بحاجة الشاعر وعلاقته بالآخرين»[٦٧].

الهجاء نقيض المديح تماماً فالهجاء هو الذم وكلما: «كثرت أضداد المديح في الشعر كان أهجى له»[٦٨]. فالبخل ضد الجود، والكذب ضد الصدق، والغدر ضد الوفاء.

وقد كان الشاعر الجاهلي يعمل على إسقاط المهجو من منزلته الاجتماعية. فيقوم بنزع الفضائل التي يحب البدوي أن ينعت بها ليعد أهلاً للسيادة فيرمى بالجهل والحمق والجبن والبخل والغدر، وقد يغمز في نسبه ليخرجه من قومه أو يفضل أقرباءه عليه ليجعل لهم السيادة[٦٩].

فالهجاء على ذلك هو: «أثرٌ من آثار حب الانتقام أو التشفي مع اختلاف وسائله وطرقه، إلا أن الشعر هو الطريقة الأصلح لهذا الفن»[٧٠]. وقد سار معظم الشعراء وفي جميع العصور على ذلك الأسلوب من الانتقام مع اختلاف بسيط تبعاً لأختلاف البيئة والعصر والظرف الاجتماعي الذي يمر به الشاعر.

فقد كان في العصر الجاهلي ينصرف انصرافاً خارجياً في تأليب البينات والحجج، عن الانصراف الداخلي والتصحيح والتشقيق[٧١].

أما من الناحية الأسلوبية فقد كان الشاعر يعتمد على تحويل معاني الفخر إلى نقيض من الرذائل والمنكرات[٧٢].

أما حين جاء الإسلام، فقد كان للهجاء إطار جديد فلم يكن الهجاء الانتقاص من الناس، وتفضيل أقرباء المهجو عليه بغرض إثارته والإنقاص من قدره، بل كان احد طرق الإصلاح الاجتماعي والتوجيه العقيدي إلى الطريق الصحيح، والى معرفة التعاليم التي جاء بها الإسلام وتطبيقها على أتم وجه. فقد كان للهجاء ولادة جديدة زادته قوة وتطوراً، كان يهجو قريشاً ثلاثة نفر من الأنصار (حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة). وكان الرسول ﷺ يريد أن يدخل الشعر في المعركة مع قريش، وكان يقول: «ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله ﷺ بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟ فقال حسان بن ثابت: أنا لها، وأخذ بطرف لسانه، وقال والله ما يسرني به مِقوَلٌ بين بُصْري وصَنعاء»[٧٣].

فعند مجيء الإسلام صار للهجاء ولادة جديدة زادته قوة وتطوراً، ولم تحد من أفقه، إذ وفرت للشعراء مادة جديدة للهجاء، الذي تغير في الهجاء في العصر الإسلامي موضوعاته فأخذ الشاعر يستمد من عدم الأيمان، والدخول في الإسلام، والدفاع عنه

موضوعات للهجاء. فضلاً عن أن الدين الإسلامي أضاف للشعر الهجائي قوة في الأسلوب وجزالة ووضوح في العبارات.

هذا ما فعله أحمد محرم في ديوانه مجد الإسلام، فقد اتخذ من إصرار بعضهم على الكفر، وبعضهم على الإشراك بالإله الواحد، وعبادة الآلهة المتعددة، ومن خروج بعضهم عن تعاليم الدين الإسلامي، مادة أساسية لهجائهم، والحط من قيمهم والاستهزاء بما كانوا يعبدون، وأول ما يطالعنا من هجائه للمشركين قصيدته (المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار) والتي يقول فيها:

الجاهليـــــةُ ســـــمٌ نـــــاقعٌ وأذىً ... تشــقَى النفــوس بــداءٍ منــه ضــرّار
تـــأهبوا، إنَّ دينـــاً قـــام قائمـــه ... يـــومي إلـــيكم بآمـــالٍ وأوطـــار(٧٤)
أمـــا تـــرون ريـــاح الشـــرك عاصـــفةً ... تطغـــى علـــى أمـــم شـــتى وأقطـــار؟
لـن اتـرك النـاس فوضـى فـي عقائـدهم ... ولـــن أُســـالم مـــنهم كـــل جبـــار
أكلمـــا ملـــك الأقـــوام مـــالكهم ... رمـــى الضـــعاف بأنيـــابٍ واضـــفار؟
الشـــر غطـــى أديـــم الأرض فارتكســـت ... اقطارهـــا بـــين آثـــامٍ وأوزار(٧٥)
أخفـــى محاســـنها الكبـــرى، فكيـــف بكـــم ... إذا تكشـــف عـــن وجـــه لهـــا عـــار؟
لأُنـــزلنَّ ذوي الطغيـــان منزلـــةً ... تســـتفرغُ الكبـــر مـــن هـــام وأبصـــار
ظنـوا الضـعاف عبيـدًا، بـئس مـا زعمـوا ... هـل يخلـقُ اللهُ قومـاً غيـر أحـرار...؟(٧٦)

فالهجاء هنا جاء بإطار مختلف عما كان عليه فهو يهجو الجاهلية ويصفها بأنها سم ناقع، وأذى وداء تشقى النفوس له. ويصف الإشراك بالله بالريح العاصفة التي لا تبقى ولا تذر امة من الأمم إلا طغت عليها، إلا أن الرسالة االسماوية ومبلغ الرسالة يتوعد وينذر بالإسلام الذي ينزل الطغيان وأصحابه منزلة الذل والخذلان بعد كبر وعلو في نفوسهم، فالإسلام لن يترك الناس فوضى في اختيار عقائدهم. وانه لن يستسلم للطغاة. ولا نبعد كثيراً حتى نجد الشاعر يهجو اليهود والمنافقين هجاءً مراً لاذعاً بما كانوا يعرفونه من الحق ومن الهدى، ثم يزيغون الأبصار، فهو يأبى أن يتبع الهدى أو يتبعه غيره، فهو ليس كمن هو ضال ولا يعرف عن الحق شيئاً:

إذا مـــا تـــردى فـــي الضـــلالة جاهـــل ... فمـــا عـــذر مـــن يـــأبى الهـــدى وهوعـــارف؟

يقولون قول الزور لا علم عندنا كفى القومَ علماً ما تضم المصاحف
لهم من سنا التوراة هاد وللعمى ركام على أبصار متكاثف

ثم يهجو مالك بن الصلت وهو أحد أحبارهم فيقول:

يهيب بأضغان اليهود يشبها عداوة قومٍ شرهم متضاعف
وما برح الحبر السمين يغرهم ويأكل من أموالهم ما يصادف(٧٧)
أعدوا له المرعى فراح مهبلاً كظنك بالخنزير واتاه عالف(٧٨)
ينوء بجنبيه ويرتج ماشياً إذا اضطربت منه الشوى والروانف(٧٩)
رماهم بها عمياء لم يرم معشراً بأمثالها أحبارهم والأساقف
فقالو: غوى ابن الصلت وانفض جمعهم يريدون كعبا وهو خزيان كاسف...(٨٠)

وهكذا يستمر على طول امتداد القصيدة والبالغ عدد أبياتها أربع وخمسين بيتاً.

ومن هجائه لليهود والمنافقين إلى هجائه لأبي جهل في قصيدة (مصرع أبي جهل):

هي اللات والعزى أضلتك هذه وزادتك هذى من ضال ومن خبل(٨٢)
مضى جارك المأفون خزيان وانقضت حبالك فانظر: هل ترى الآن من حبل(٨٣)
لقد كنت ترجو الهُبَل الذي رضيت به رباً يفوز ويستعلى
أصبت أبن مسعود سناء ورفعة وباء عدو الله بالخزي والذل
فخذ سيفه، ثم ارفع الصوت شاكراً فما بعد ما أعطاك ربك من سؤال(٨٨)

فهو لا يهجوه إلا بما كان فيه من صفات جاهلية وهي التعصب والأنفة. وعبادة الأوثان وهي (اللات، والعزى، وهبل... إلخ) هذه الآلهة التي أضلتهم وزادت فوق إضلالهم البخل، ثم يقول على وجه الاستهزاء والسخرية من الآلهة التي كانوا يرجون منها الفوز والنصر فهي لم تمدهم إلا بالفشل والخذلان.

ومن هجائه لأبي جهل إلى هجائه لأصحاب (القليب)(٨٤) الذي يقول فيهم:

تلك عقبى البغي فانظر كيف عادا؟ يا له من مصعب ألقى القيادا
أرأيت القوم شرّاً، وأذى؟ ورأيت القوم ناراً ورماداً؟
غيبوا في حفرةٍ مسجورةٍ تخمد الدنيا وتزداد اتقادا(٨٥)

ملئـــت رعبـــاً، وزيـــدت روعـــةً مـن عـذابٍ كـان ضـعفاً ثـم زادا...(٨٦)

نلاحظ أن أكثر هجائه للمشركين كان استهزاءا وسخرية لما كانوا يعبدون وتحد لما سوف تعطيه ألهتهم التي أصروا على عبادتها. فهي لم تعطهم إلا الذل والإهانة:

ارفعـــي يـــا دولـــة الحـــق العمـــادا وأقيمـــــي يـــــا طواغيـــــت الحـــــداد

أيُّ حـــــقٍّ ذلّ فـــــي ســـــلطانه؟ أيّ زور عـــزّ فـــي الـــدُّنيا وســـادا

إلـى (غزوة بدر الآخرة) التـي يهجو فيهـا أبـا سفيان وينعتـه بأنـه لـم يكن صـادق الوعد، ولم يكن ذو جد، وان قومه لم يكونوا أبطال لأنه نقض العهد:

إليـــك أبـــا ســـفيان لا الوعـــد صـــادق ولا أنـــت ذو جـــد، ولا القـــوم أبطـــال

أتـــاك أبـــن مســـعود بأنبـــاء يثـــرب فمـــا تنقضـــى مـــنكم همـــوم وأوجـــال(٨٧)

لكـــم عنـــد بـــدر فـــي لـــواء محمـــد خطـــوب ترامـــى بـــالنفوس وأهـــوال...(٨٨)

إلى أن يقول:

إليـــك أبـــا ســـفيان لا الوعـــد صـــادق ولا أنـــت ذو جـــد، ولا القـــوم أبطـــال

تـــردد، يخشـــى شـــيمة مخلـــف يقـــول فـــلا وعـــد وفـــى، ولا قـــال(٨٩)

ويمكن الإشارة إلى أن هناك قصائد آخر جاءت في الهجاء من ذلك قصيدته في هجاء (عبد الله بن أبي سلول) والتي يقول فيها:

عقـــرب الســـوء تمـــادى فـــي الاذى والاذى بعـــض ســـجايا العقـــرب

ويـــك عبـــد الله مـــاذا تبتغـــي؟ تعـــب الشـــر ولمـــا تتعـــب...(٩٠)

نكتفي بهذا القدر من الهجاء ليتبين أن هجاء أحمد محرم كله جاء في ذم الجاهلية ومأثمها، ومظالمها، وما فيها من شرك بالله، وتعدد للآلهة، وما فيها من نقض للعهود وما فبها من نفاق لليهود، فلم يكن هجاؤه كما كان في العصر الجاهلي، أو العصر الأموي الذي اتخذ فيه الهجاء شكل النقائض على شاكلة ما نرى عند جرير والفرزدق والأخطل، وإنما كان ذماً لكل مخالفة.

فلم يكن هجاؤه الانتقاص من الناس والكشف عن عوراتهم، أو تفضيل غيره عليه من القبيلة نفسها بهدف إثارة ثائرته، بل كان أحدى طرق الإصلاح التي تهدف إلى حماية

الحقوق وانتصاف المظلوم، وحفظ المال والعدل وسيادة العدل ونشر تعاليم الدين الإسلامي وتطبيقها.

فالهجاء سلاح من أسلحة القتال يضعف الشاعر فيه معنوية خصومه ويرتبط بالوعيد والتهديد والانتقاص من أقدار الخصوم والبحث عن معايبهم[٩١].

ج- الرثاء:

لكل شخص طريقة خاصة في التعبير عن حزنهِ حيال ما يأتيه من مصائب، فالناس منذ الجاهلية إلى الآن يعتمدون على البكاء والنواح والعويل على الميت بالألفاظ الحزينة مع اللطم على الوجوه[٩٢]. من اجل إخراج ما في القلب من لوعة وحرقة، ومن اجل شفاء حزن النفس واساها. وهذا ما يسمى بـ(الندب) فالندب هو: «بكاء الميت وتعداد حسناته»[٩٣]. أو هو «مدح الميت والبكاء عليه»[٩٤]. فالمعنى واحد هو ذكر حسناته وصفاته ولا شك أن أحسن الشعر عند العرب هو: «ما خلط مدحا بتفجع واشتكاء بفضله»[٩٥]. وقسم آخر من الرثاء يتخذ شكل: «الثناء على الميت عند زيارة القبور، أو حين الاجتماع في المجلس يعقد لذكر الفقيد»[٩٦]. ويسمى التأبين والتأبين هو: «مدح الميت والثناء عليه»[٩٧]. فالرثاء بعيد كل البعد عن المطالب المادية، وبعيد عن التكلف والمجالفة. فهو صورٌ حقيقية لباطن الشاعر تعبر عما في نفسه ونفس غيره من حزن وألم دون زيف أو تزوير، ففي شعر الرثاء سجلوا أحزانهم والآمهم، وكان لشعر الرثاء أبعاداً مختلفة اختلفت وتعددت حسب من كانوا يبكون.

ولقد أحصت الدكتورة بشرى الخطيب الأفعال التي تتعلق بالرثاء وهي: (ندب، رثى، أبن، نعى)[٩٨]، والنعي هو إذاعة خبر موت احدهم بين قومه لأجل الأخذ (بالثأر)[٩٩]. ولما جاء الإسلام نهى الرسول ﷺ عنه لما كان يثيره من فتن وحزازات، ولأنه كان السبب الرئيس في اشتداد الخلاف وسريان القتل والأخذ بالثأر الذي قد يمتد إلى سنين عدة.

فالعرب عرفوا الموت قبل أن يقولوا الشعر فليس في «العالم امة لم تعرف الرثاء كما أنه ليس فيه امة لم تعرف الموت، فالرثاء وجد عند كل الأمم، بادية وراقية ومتحضرة»[١٠٠].

فالناس عرفوا الموت وكان السبب الأول الذي عصر قلوبهم وأجرى دموعهم بدمع قد يكون أحر من الجمر جزعاً على من فقدوا، وهذا الحزن هو السبب الرئيسي الذي جعل قرائحهم تتفجر في الشعر الرثائي.

فالرثاء إذا جئنا إلى تقصي معناه في العصر الجاهلي إلى العصر الإسلامي فالأموي فالعصر العباسي وصولا إلى العصر الحديث وجدناه معنى واحد وهو بكاء الميت وذكر صفاته وحسناته أو التفجع والعويل؛ لأنه شعر جاء تعبيرا عن نتيجة معروفة وهو أن كل مخلوق «محكوم عليه بالزوال ذلك جانب وجانب آخر يهدف فيه إلى استنهاض الهمم وتثبيت العزائم من خلا التأبين لخليفة أو قائد وهو شعر يدعوا إلى الصبر على نوائب الدهر فالدنيا دار فراق لا دار خلود وبقاء»(١٠١).

فإذا جئنا إلى رثاء أحمد محرم للرسول ﷺ ولأصحابه وأعوانه من المسلمين وجدناه رثاء يختلف عن كل رثاء، فبالإضافة إلى التأبين والندب الذي فيه نجده رثاءاً يتحدث عن الشهادة التي هي من أعلى مراتب الجنة. وهنيئاً لكل من كتب الله له الشهادة: شهادة في سبيل الدين، وفي سبيل المال، وفي سبيل الأرض. انه يرثي ويشجع على الشهادة، ويتمنى أن يكون أحد الشهداء لا مجرد الشاعر الذي يكتب بقلمه القصائد.

وأول ما يطالعنا من قصائده الرثائية قصيدته (شهداء بدر). فالرثاء الذي فيها واضح من العنوان الذي حملته القصيدة يقول راثياً:

طُف بالمصارع واستمع نجواها ... وألْثم بأفياء الجنان ثراها(١٠٢)

ضاع الشذى القدسيُّ في جنباتها ... فانشق وصف للمؤمنين شذاها (١٠٣)

إلى أن يقول:

شهداء بدرٍ انتم المثل الذي ... بلغ المدى بعد المدى فتناهى

عُلِّمتُم الناس الكفاح فأقبلوا ... ملء الحوادث يدفعون أذاها

أما الفداء فقد قضيتم حقه ... وجعلتموه شريعة نرضاها

من رام تفسير الحياة لقومه ... فدم الشهيد يبين عن معناها

لولا الدماءُ تراق لم نرَ أمةً ... بلغت في المجد الريض معناها

أدنى الرجال من المهالك من ... إذا عرضت منايا الخالدين أباها

وَأجـــلَّ مـــن رفـــع الممالـــك مظهـــرا ... بـــان مـــن المهـــج الســـماح بناهـــا
كـــم أمـــةٍ لـــم تُـــوق عاديـــة الـــردى ... لـــولا الـــذي أقـــتحم الـــردى فوقاهـــا
تســـموا الشـــعوب بكـــل حـــر ماجـــدٍ ... وجبـــت عليـــه حقوقهـــا فقضـــاها
مـــا أكـــرم الأبطـــال يـــوم تفيـــأوا ... ظلـــل المنايـــا يبتغـــون جناهـــا...(١٠٤)

فالشهداء رزوقوا بالجنة التي هي مبتغاهم وغايتهم. وان من سبقهم إلى الشهادة يستقبلهم بالجنة لما نالوه من منزلة وكرامة. ويستمر بالرثاء المدعوم بالفخر على طول امتداد القصيدة إلى أن يقول متمنيا الشهادة:

بخـــل الزمـــان فكنـــت مـــن شـــعرائها ... لـــو شـــاء ربـــي كنـــت مـــن قتلاهـــا...(١٠٥)

ومن رثائه لشهداء بدر إلى رثائه لحمزة ﷺ عم الرسول ﷺ. ابتدأ الشاعر القصيدة بمقدمة نثرية تبين كيف قتل ﷺ على يد وحشي، وكيف صلى الرسول الكريم محمد ﷺ هو ومن معه من الشهداء، وكيف أمر الرسول ﷺ بدفنهم بثيابهم المضرجة بالدماء، وكيف أن هند زوج أبي سفيان أمرت وحشي بأن يجلب لها كبده ﷺ وكيف حاولت أن تأكله فلم تستسغه فألقته من فيها، وكيف عملت من أنفه وأذنه حلي ليديها وقلادة لعنقها هي ومن معها من نساء المشركين، يقول الشاعر معزيا الرسول ﷺ:

صـــاحبُ الســـيفين مـــاذا صـــنعا؟ ... ودَّع الصـــــفين والـــــدنيا معـــــا
غـــاب عـــن أصـــحابه مـــا عملـــوا ... أي دار حـــــل لمـــــا ودعـــــا
غـــاب عـــن أعيـــنهم فـــي غمـــرة ... ســـد غـــول الهـــول منهـــا المطلعـــا
طلبـــــوه، وتنـــــادى جمعهـــــم ... نكبـــــة حلـــــت، وخطـــــب وقعـــــا
يـــا رســـول الله- هـــذا حمـــزة ... أتـــرى عينـــاك منـــه المصـــرعا؟
انـــــه عمـــــك إلا أذنـــــا ... قطعـــــت منـــــه وأنفـــــاً جـــــدعا
إنـــــه عمـــــك فـــــانظر بطنـــــه ... كيـــف شـــقوه، وعـــاثوا فـــي المعـــى؟
كبـــد الفـــارس مـــاذا فعلـــت ... أيـــن طـــاح؟ مـــن قضـــى ان تنزعـــا
نـــذر هنـــد هـــي، لـــولا أنهـــا ... لـــم تســـغها أكلتهـــا أجمعـــا؟(١٠٦)
طفقـــت تمضـــغ مـــن أفلاذهـــا ... علقمـــا مـــرا وســـما منقعـــا(١٠٧)
كلمـــا همـــت بهـــا تـــدفعها ... مـــلء شـــدقيها أبـــت أن تُـــدفعا...(١٠٨)

فهو عندما يرثي وكأنه يروي قصة استشهاده ثم يشفعها بالوصف لموقف المسلمين ساعة مقتله، ولأكلة الأكباد وما قامت به من عمل شنيع.

ومن رثائه لحمزة إلى رثائه لـ(زياد بن عمارة ﷺ) هنا أيضا افتتح الشاعرالقصيدة بمقدمة يبين فيها من هو زياد. وهو من شهداء غزوة أحد ثبت بين يدي النبي ﷺ يتلقى السهام دونه ويدافع عنه حتى مات على قدم رسول الله ﷺ الشريفة(١٠٩):

أكان يزيد بأسك إذ تصاب؟ زيادة ذلك العجب العجاب

تكاثرت الجراح، وأنت صلب يهابك في الوغى من لا يغاب

قويً تنصبُّ حثاثاً وللدم في مواقعها انصباب...(١١٠)

إلى أن يقول واصفاً حاله وقد طلب النبي ﷺ أن يدنوه منه ويضعوه على قدمه الشريفة:

أهاب محمد أدنوه مني فذلك صحبي المحض اللباب

على قدمي ضعوا لليث رأسا أخاف أن يعفره التراب

ففاضت نفسه نورا عليها وماج الجو، وأمتد العباب...(١١١)

نلاحظ أن الرثاء عنده لم يكن بكاء وعويلاً، وإنما كان أقرب ما يكون إلى الحماسة والفخر الشاعر يفخر بقوم الرسول ﷺ وصلابتهم في الحرب فهم لا يهابون الموت مادامت الملائكة هي التي تتلاقهم بالتحايا والوجوه النظرة:

تلقته الملائك بالتحايا منظرة تحب وتستطاب

وزخرفت الجنان، وقيل: هذا مآبك- انه نعم المآب...(١١٢)

إلى رثائه لسعد بن معاذ ﷺ الذي توفي في خيمة رفيدة الأسلمية وهو من شهداء غزوة الخندق. أصيب في سهم في أكحله، رماه حيان بن العرقة انفجرت جراحته وصار الدم يسيل فمات، وهو يسال الله أن لا يميته حتى يشفي صدره من بني قريظة وقد شفاه:

هدأ المخيم، واطمأن المضجع وأبى الهدوءَ الصارخ المتوجع

الحقُّ جنْبٌ مثخن وحشاشة تهفو وقلب يفزع(١١٣)

يا سعد خطبك عند كل موحد خطب يجيء به الزمان ويرجع...(١١٤)

إلى أن يقول:

ضجّ النعاة فهزّ يثرب وجدها وهفا بمكة شجوها المتوع(١١٥)

ركــن مــن الاســلام، زال ومــا انتهــى بانيـــه، ذلكـــم المهـــمُّ المفضـــع
خطـــب أصـــاب المســـلمين، فـــذاهل مـــا يســـتفيق، وجـــازع يتفجـــع...(١١٦)

نختم الرثاء بما قاله في سرية أسامة بن زيد بن حارثة ﷺ وهي آخر السرايا التي بعث بها النبي محمد ﷺ إلى الشام للتهيئة لحرب الروم. فالشاعر يختم الديوان وينهيه بحادث جلل في تاريخ الإسلام والمسلمين، وهو انتقال الرسول الأعظم محمد ﷺ إلى الرفيق الأعلى راضياً مرضياً.

ومع شدة وقع هذا الأمر في نفوس المسلمين. لذلك فقد ذكره الشاعر في معرض حديثه عن سرية أسامة بن زيد، كما انه أراد أن يقول: لئن كان الرسول قد مات فأن رسالته ستظل ماضية، ودعوته بأذن الله ستكون باقية ما حرص المسلمون على بقائها:

مـــاتَ الرســـول المجتبـــى، مـــات الـــذي أحيـــا نفـــوس النـــاس وهـــي رمـــائم
مـــاتَ الرســـول فكـــل افـــق عـــابس أســـفا عليـــه، وكـــل جـــوٍّ قـــاتم
مـــاتَ الـــذي شـــرع الحيـــاة كريمـــة والنـــاس شـــر والحيـــاة مـــآتم
مـــاتَ الـــذي كانـــت عجائـــب طبـــه تشـــفى العقـــول، وداؤهـــا متفـــاقم
طاشـــت لمصـــرعه عقـــول رجـــح ووهـــت قـــوى مشـــدودة وعـــزائم
دنيـــا الممالـــك بعـــد عصـــر محمـــد حـــزن يجـــدد والعصـــور مـــآتم
صـــلى عليـــك الله إن قضـــاءه حـــتم، وإن زعـــم المـــزاعم حـــالم...(١١٧)

نكتفي بهذا القدر من قصائد الرثاء ليتبين لنا أن موضوع الرثاء جاء مختلفاً عن كل ما جاء من قصائد رثائية في كل زمان ومكان... فلم يكن رثاءه بكاءاً حاراً، ولم يكن تفجعا وعويل، وإنما جل رثاءه كان ندب وتأبين فالشاعر كثيراً ما يذكر بطولات المراثي وبلاءه في المعركة، وتقديم نفسه فداء لرسول الله ﷺ وللإسلام؛ فهو ليس كالرثاء الذي نقرأه عند الخنساء في رثاء أخويها، أو عند مالك بن الريب في رثائه لنفسه، أو عند ابن الرومي وهو يرثي أوسط بنيه، أو عند نزار قباني وهو يرثي زوجته... إلخ. فما نقرأه في ديوان محرم من رثاء كثيراً ما يكون مشفوعاً في الرغبة في نيل درجة الشهادة، وتحفيز لمن سيكون له من جنان الخلد، فالشاعر رثى بمعاني إسلامية جديدة، في معنى الشهادة، ومعنى الإيثار، ومعنى التضحية بالنفس في سبيل الدين والمال والأرض. وغالباً ما نرى الرثاء مرتبطاً

بغرض الفخر والحماسة في إيقاد نيران الحرب لأجل الحفاظ على انتشار رقعة الدعوة الإسلامية ولإعلاء كلمة الإسلام ففي ظل الإسلام أصبح النضال والقتال من اجل الدعوة الإسلامية والحث على نشر الإسلام والدفاع عنه(١١٨).

د- الوصف:

لعل أشهر تعريف للوصف هو تعريف قدامة بن جعفر الذي يقول فيه: «هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات»(١١٩).

وقد ذكر ابن رشيق: «أن الشعر – إلا اقله– راجع إلى باب الوصف»(١٢٠). وبهذا القول يكون الوصف مشتركاً مع كل غرض، فوصف الممدوح مدح، ووصف الميت رثاء، ووصف المرأة غزل...، إلخ. والقاريء لشعر احمد محرم يجد أن رثاءه وصف، على شاكلة ما ذكرنا من رثاءه لحمزة ﷺ، فالرثاء جاء وصفاً لحال الرسول ﷺ، ووصفاً لما قامت به هند زوج أبي سفيان من عمل شنيع، وكذلك مدحه كان في الوصف، وهجاءه للمشركين كان يتخلله الوصف للمشركين.

والشاعر الجاهلي صور ما رأته عينه من الطبيعة وبنوعيها: الثابتة والمتحركة كالصحارى، والليل، والسماء، والمطر، والثور، والفرس، والوحش، فضلاً عن تصويرهم للأطعمة فقد صوروا الخمرة ولذتها، حتى امتلأت دواوينهم بقصائد وصفية رائعة، وحين جاء الإسلام أصبح العرب في وصلة جديدة، أكثر تقدما تختلف عن الحياة الجاهلية، فبرز شعراء أبدعوا في الوصف، كالأخطل، وجرير، وذي الرمة كان وصفهم صورا لوصف القدماء؛ إذ أن الأمويين وجدوا في الشعر الجاهلي تمثيلاً لماضيهم، فأصبحوا يعتزون به، ويشتدون في روايته ومن ثم يسعون إلى تقليده(١٢١).

وفي العصر العباسي كان للصور الوصفية ولادة جديدة من حيث الموضوعات التي تناولها الشعراء في الوصف، إذ كان للقصور– التي كثرت في ذلك العصر حضور مشهود في قصائدهم الوصفية، فعبروا عن جمالها وأبدعوا في وصفها، حتى إن ابن رشيق القيرواني فضل المحدثين على القدماء، إذ أن الملك الإسلامي قد عظُمَ في أيامهم فضلاً عن اتساع الحضارة التي فتحت أبواباً جديدة أمام الشعراء للتعبير عن المعاني التي أرادوا التعبير عنها(١٢٢).

وأحمد محرم هو أحد الشعراء الذين أبدعوا وبأسلوبه القصصي في أعطاء صورة كاملة تنبض بالحركة، ووصف رائع لأجواء المعارك التي دارت بين المسلمين والمشركين، وهو أحد الشعراء الذين اختلط وصفهم وكما ذكرنا سابقا بالأغراض الشعرية الأخرى.

فهو عندما أخذ يصف غزوة بدر، وصف المعركة بأجوائها المختلفة، وأول ما وصفه هو وصفه للكتيبة التي أرسلها الله تعالى لمساندة المسلمين وأعانتهم على تحقيق النصر، أخذ بوصف هيبة الكتيبة وهيئتها، وعظمتها، وقوة ضربها للمشركين، ووصف حركة الحرب، وحركة الخيل وصوتها، وما الى ذلك من الاوصاف غير المرئية والتي تبدوا وكأنها أوصاف مرئية خارجية. فنراه يقول:

الله أرسل في السحاب كتيبة تهفو كما هفت البروق اللمح(١٢٣)
تهوى مجلجلة تلهب أعين منها وتقذف بالعواصف أجنح(١٢٤)
للخيل حمحمة تراع لهولها صيد الفوارس، والعتاق القرح(١٢٥)
حيزوم أقدم إنما هي كرة عجلى تجاذبك العنان فتمرح(١٢٦)
جبريل يضرب والملائك حوله صف ترض به الصفوف وترضح(١٢٧)

ثم ينتقل إلى وصف حال المشركين وما حل بأشراف مكة وساداتهم من قطع الروؤس وتمزيق للأجساد على يد أبطال معركة بدر:

أودى بعتبة والوليد وشيبة وأمية، القدر الذي لا يدرح(١٢٨)
وهوى أبو جهل ونوفل وارعوى بعد اللجاج الفاحش المتوقح(١٢٩)
لما رأى الغزي المظفر رأسه أهوى يكبر ساجدا ويسبح(١٣٠)

ومن غزوة بدر إلى (غزوة أحد) يصف الشاعر في هذه الغزوة سيوف الرسول الكريم محمد ﷺ وصفاً حسياً، فيذكر أنها أمضى السيوف، واجلبها للموت في صفوف المشركين، وان سيف السعدين، وسيف حمزة، وسيف علي هي أشد السيوف في أجساد المشركين:

سيوف محمد أمضى السيوف وأجلب للمعاطب والحتوف(١٣١)
إذا هوت الصفوف على الصفوف وأعرض كل جبار مخوف
مضت ملء الوغى عرضاً وطولا

أرى السعدين قد دلفا وهذا عليٌ بالحسام الغضب لاذا
وحمزة جَدّ معتزماً فماذا؟ ومن للقوم إن أمسوا جذاذا؟
وطار حماتهم فمضوا فلولا(١٣٢)

إلى أن يقول واصفاً الرامي وواصفاً هيئة السهام بأنها كالمطر الذي يتساقط على المشركين:

وقيل لرافع نعم الغلام إذا انطلقت لغايتها السهام
تقدم أيها الرامي الهمام إذا الهيجاء شب لها ضرام
فأمطرها سهامك والنصولا(١٣٣)

ويختم الشاعر القصيدة بوصف بطولة ابي دجانة في الحرب فيقول:

من البطل المعصب يختليها رقابا ما يمل الضرب فيها؟(١٣٤)
بأبيض تتقيه ويعتريها وتكره أن تراه ويشتهيها
لها من حده وال يليها وينتزع الحكومة من ذويها
بررت أبا دجانة إذ تريها وحي الموت تطعمه كريها(١٣٥)
صددت عن السفيهة تزدريها وتكرم سيفك العف النزيها(١٣٦)

نلاحظ ان وصفه لأبي دجانة يتخلله المدح والفخر.

ومن غزوة أحد الى غزوة (بني قريظة)، التي وصف فيها حال اليهود بعد ان حوصروا في حصنهم خمسا وعشرين يوما:

تواروا كالنساء محجبات حمتها في المقاصير البعول
خلال الميدان، لا بطل ينادي أَلا بطل؟ ولا فرس يجول
أقاموا مُحجَرين على هوان أقام، فما يريم ولا يحول(١٣٧)
يرنق عيشهم جوع وخوف كلا الخطبين أيسره جليل(١٣٨)
يبيت الهم منتشراً عليهم إذا انتشر من الليل السدول(١٣٩)
يلفهم السهاد، فلا رقاد يطيب لهم، ولا صبر جميل
يخاف النومَ أكثرهم سهاداً كأن النوم في عينيه غول
إذا مالت به سِنَة تنزى يظن جوانب الدنيا تميل

تطـــوف بهـــم فـــي منايـــاهم ظنونـــا تـــــوهج فـــــي مخالبهـــــا النصـــــول
بهـــــم وبحصـــــنهم ممـــــا دهـــــاهم وحـــاق بهـــم جنـــون أو ذهـــول(١٤٠)

نلاحظ أن الشاعر استخدم أسلوب التشبيه في رسم صورة اليهود وحالهم وهم في الحصون لا يقدرون على شيء، شبههم الشاعر بالنساء القاعدات اللواتي لا يقدرن على شيء، ومن التشبيه إلى الوصف لغرض الوصف وهو غرض: «يعبث الشاعر برياضة أدبية تظهر براعته في اكتشاف التشابه والصورذلك ما نسميه الوصف للوصف»(١٤١) فهو وصفهم لغرض وصف حالهم، وكيف لفهم السهاد فلا رقاد بسبب خوفهم من النوم، حتى إذا مالت أعينهم إلى السنة توثب وتسرع وظن أن الدنيا قامت.

نكتفي بهذا القدر من الدراسة الو صفية ليتبين لنا أن الوصف عنده فقد نوع من الحسية والجمال، فهو لا يعتمد في رسم الصورة على الأساليب البلاغية التي تضفي للصورة نوع من الجمال والحركة، كالتشبيه، والمجاز، والكناية، والاستعارة... إلى غير ذلك من الأساليب البلاغية، إنما كانت صورة وصفية مباشرة، تصف ما حدث بصورة مباشرة، وهذا النوع من الصور لا يضفي الحياة على النص وبالتالي تصبح صورة عقلية تخاطب العقل لا القلب والمشاعر، فلا نجد عنصر الإثارة والتشويق الذي نجده عند بشار مثلا في وصفه للحرب فيقول:

كـــأن مثـــار النقـــع فـــوق روؤســـنا وأســـيافنا ليـــل تهـــاوى كواكبـــه(١٤٢)

الخاتمة ونتائج البحث

بعد هذه الجولة من الدراسة الموضوعية لديوان (مجد الإسلام). وجدت أن الديوان يتكون من موضوعات مختلفة، فهو ديوان شعري عبارة عن قصائد متعددة الأغراض، فالوحدة الموضوعية مفككة؛ لأنه يتناول موضوعات مختلفة، والبناء مكون من حلقات حسب الموضوعات، واهم ما يميز الديوان هو الترتيب الزمني، فالموضوعات مرتبة في حلقات كل حلقة مرتبة بحسب تسلسلها الزمني، فالحلقة الأولى تحدث فيها الشاعر عن ولادة الدعوة الإسلامية، وعن معاناة الرسول ﷺ وأصحابه في نشر الدعوة، وهذا أول حدث في تاريخ الدعوة الإسلامية.

ثم ينتقل بعد ذلك إلى الغزوات وما حل في كل غزوة، وهي الحلقة الثانية، وأيضا اعتمد في كتابة القصائد على التسلسل الزمني لكل غزوة، فأول غزوة هي بدر، ثم غزوة بني قينقاع، فغزوة السويق وصولاً إلى غزوة أحد وهكذا على امتداد الغزوات.

أما الحلقة الثالثة من الديوان تحدث فيها عن الوفود، ابتدأ من وفد نصارى نجران ووفد الاشعريين، إلى الكتب التي بعث النبي ﷺ إلى الملوك.

أما الحلقة الرابعة من الديوان فقد تحدث فيها عن السرايا، ابتدأها بسرية زيد بن حارثة. وختمها بسرية أسامة بن زيد بن حارثة ﷺ.

أما من ناحية الأغراض الشعرية التي ضمها الديوان فالباحث يرى في تاريخ العرب قبل الإسلام مبلغ ما كان يسودهم من تنافر، وشقاق، وخصام، وأحقاد، وإضغان. فلما جاء الإسلام هذب الطبائع، وغير النفوس، وحسن العادات، ودعا إلى الإخاء والصفاء، وعلمهم كيف يحترمون العهود والمواثيق قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[١٤٣]. هذا بالنسبة إلى غرض المديح.

أما الهجاء فقد انتقل نقله جذرية كاملة من التعيير بالأنساب والانتقاص من أقدار الناس، وكشف عوراتهم، وإسقاط المهجو من منزلته الاجتماعية، ومن النقائض، إلى هجاء الشخص لا لذاته بل لكونه مشركاً، ولعدم وفائه بالعهد وباتصافه بصفة النفاق، وغير ذلك مما يخالف التعاليم الإسلامية التي جاء بها الإسلام ودعا إلى تطبيقها فكان يهجو كل من يخالف.

وكذا غرض الرثاء يختلف عن كل ما جاء من إشعار الرثاء من الجاهلية إلى العصر الأموي، فالعباسي.

فالرثاء في العصر الإسلامي عامة وفي ديوان مجد الإسلام خاصة لم يكن في شيء من البكاء والعويل والتفجع، وإنما كان اقرب إلى الفخر لمن ينال أعلى مراتب الشهادة، والحماسة في الدفاع عن الأرض والدين.

وكذا غرض الوصف كان اقرب ما يكون إلى الوصف الجاهلي الذي يعتمد على وصف الحرب، وما دار في كل حرب من بطولات فهو يصورها ويتحدث عنها وكأنه عاش

تلك الفترة، ورأت عيناه تلك الحرب، وكأنه واحد ممن كان يدافع بسيفه عن الدين الإسلامي وإعلاء كلمة الدين الحق.

الهوامش

(١) الأعلام، خير الدين الزركلي، ١/ ١٩٢.

(٢) شاعر العروبة والإسلام (أحمد محرم)، محمد إبراهيم الجيوشي، ص٢١.

(٣) الأعلام، ١٩٢/١، وينظر شاعر العروبة والإسلام، ص٢١.

(٤) شاعر العروبة والإسلام، ص٢٣.

(٥) مشاهير شعراء العصر، أحمد عبد الحميد، ١/ ١١٥، وينظر شعراء العرب المعاصرون، د.أحمد زكي أبو شادي، ص٤٨.

(٦) الأعلام، ١٩٢/١، وينظر هامش تطور الأدب الحديث في مصر، أحمد عبيد، ص١١٠.

(٧) حادثة دنشواى المعروفة سنة ١٩٠٦. وهي تلك التي توفى فيها ضابط إنكليزي كان يصطاد الحمام بهذه البلدة أثر ضربة شمس وظن الإنكليز إن أهل هذه البلدة قتلوه، فأنزلوا بهم عقاباً وحشياً فظيعاً، إذ نصبوا المشانق في البلدة فشنقوا طائفة وسجنوا أخرى، ونزلوا بالسياط على ثالثة. وكانوا جميعاً أبرياء، ولكنه طغيان الباغي الذي لا يعرف رحمة ولا شفقة، وقابل الشعب هذا الحادث ومعه زعيمه مصطفى كامل بالاستياء الشديد. ينظر الأدب المعاصر في مصر، د.شوقي ضيف، ص١.

(٨) حكاية الأدب العربي المعاصر، خالص عزمي، ص٩٣.

(٩) تطور الأدب الحديث في مصر، د.أحمد هيكل، ص١١٣.

(١٠) أصداء الدين في الشعر المصري من مطلع العصر الحديث إلى ثورة ١٩١٩، سعد الدين الجزاوي، ٢٩٧/١.

(١١) شاعر العروبة والإسلام، محمد إبراهيم الجيوشي، ص١٩.

(١٢) المصدر نفسه، ص١٤.

(١٣) الأدب الحديث، عمر الدسوقي، ص١٩٦.

(١٤) شاعر العروبة والإسلام، ص١٣.

(١٥) شاعر العروبة والإسلام، ص٤٠.

(١٦) مقدمة ديوان مجد الإسلام، ج، د، هـ، بقلم محمد إبراهيم الجيوشي.
(١٧) معالم الأدب الإسلامي، د. عمر عبد الرحمن الساريسي، ص٣٦.
(١٨) الشوقيات، أحمد شوقي، الهمزية النبوية، ١/ ٣٤.
(١٩) سورة الانفال، ١٠/ ٦٥.
(٢٠) مقدمة ديوان مجد الإسلام.
(٢١) ديوان مجد الإسلام، محمد إبراهيم الجيوشي، ص٦٢.
(٢٢) دراسات في الشعر العربي المعاصر، د.شوقي ضيف، ص٥١.
(٢٣) ديوان مجد الإسلام، ص٣٣٩- ٣٤١.
(٢٤) شاعر العروبة والإسلام، ص٦٠- ٦١.
(٢٥) تطور الرواية العربية، د.عبد المحسن بدر، ص٤١.
(٢٦) شاعر العروبة والإسلام، محمد إبراهيم الجيوشي، ص٦٦- ٦٧.
(٢٧) شعراء العرب المعاصرون، أحمد زكي أبو شادي، ص٤٩.
(٢٨) المجلة المصرية، العدد ١٦، السنة الثالثة، (كيف ينظم شعراؤنا)، سنة ١٩٠٩، ص٢٥.
(٢٩) شعراء العرب المعاصرون، ص٤٩.
(٣٠) المصدر نفسه، ص٤٩-٥٠.
(٣١) المصدر نفسه، ص٥٢- ٥٣.
(٣٢) دراسات في الشعر العربي المعاصر، د.شوقي ضيف، ص٥٤.
(٣٣) المصدر نفسه، ص٥٦.
(٣٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٣٥) المصدر نفسه، ص٥٦- ٥٧.
(٣٦) معالم الأدب الإسلامي، د.عمر عبد الرحمن الساريسي، ص٥٨.
(٣٧) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، ١/١٢٠.
(٣٨) ينظرشرح المعلقات السبع، الزوزني، ١٠- ١٢.
(٣٩) ينظر ديوان طرفة بن العبد، ص٥- ٦.
(٤٠) ينظر ديوان عنترة بن شداد العبسي، ص١٥- ١٧.
(٤١) التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول، مجاهد مصطفى بهجت، ص٢٣٠.

(٤٢) غار الماء: ذهب.

(٤٣) الثُبورا: الهلاك.

(٤٤) الهدير: الصوت والغليان.

(٤٥) الإكسير: ما يلقى على الفضة ونحوها ليحيله إلى ذهب خالص.

(٤٦) ديوان مجد الإسلام، ص٣.

(٤٧) المصدر نفسه، ص٤.

(٤٨) الحصور: الضيق الصدر، والهيوب: المحجم عن الشيء.

(٤٩) ديوان مجد الإسلام، ص٥.

(٥٠) دراسات في الشعر العربي المعاصر، د.شوقي ضيف، ص٤٨- ٤٩.

(٥١) ديوان مجد الإسلام، ص١١.

(٥٢) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٥٣) يراجع الديوان، ص٦.

(٥٤) الشطير: الغريب والبعيد.

(٥٥) الحسيرا: كالاً متعباً.

(٥٦) ديوان مجد الإسلام، ص٦.

(٥٧) يراجع الديوان، هامش ص١٣.

(٥٨) ديوان مجد الإسلام، ص١٣.

(٥٩) المصدر نفسه، ص١٦.

(٦٠) غير أغمار: غير حاقدين.

(٦١) استحصد: قوى، والامرار: الفتل.

(٦٢) ديوان مجد الإسلام، ص٢٧- ٢٨.

(٦٣) تلبلب الرجل للحرب: تحزم وتشمر.

(٦٤) ديوان مجد الإسلام، ص٩٠.

(٦٥) ديوان مجد الإسلام، ص٩١.

(٦٦) بردة البوصيري وأثرها في شعر المديح النبوي الذي نهج نهجه (اطروحة ماجستير)، طارق أمين ساجر، اشراف د.أحمد مطلوب، ١٩٣٢م، ص١٧.

(٦٧) دراسات في الشعر والشعراء، د.يونس السامرائي، ص٢٠.

(٦٨) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ص٩٢.

(٦٩) أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، بطرس البستاني، ١/ ٥٧.

(٧٠) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، يحيى الجبوري، ص١٩٠.

(٧١) فن الهجاء وتطوره في الشعر العربي، إيليا الحاوي، ص٩.

(٧٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٧٣) الأغاني، أبي الفرج الاصبهاني، ٤/ ١٣٥١.

(٧٤) الاوطار: الحاجات، ويومي: يشير.

(٧٥) أديم الأرض: وجهها، ارتكس: الرجل والشيء انتكس.

(٧٦) ديوان مجد الإسلام، ص٢٨.

(٧٧) هو مالك بن الصلت من أحبارهم. كان يبغض النبي بغضاً شديداً. ويلبس على اليهود فيأخذ أموالهم، وقال له ﷺ **أنشدك الله أليس في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين. سمنت من المال الذي يطعمك اليهود.** فغضب والتفت إلى عمر قائلاً ما أنزل الله على بشر من شيء. فكان هذا كفرا منه بموسى ومحمد وغيرهما من الأنبياء والمرسلين. وعلم اليهود فنزعوا عنه الرياسة وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف. ديوان مجد الاسلام، هامش ص٣١.

(٧٨) المهبل: الكثير اللحم.

(٧٩) الشوى: اليدان والرجلان. والروانف: أسافل الآلية للقائم.

(٨٠) ديوان مجد الإسلام، ص٣٢.

(٨١) كان المسلمون يقولون في هذه الوقعة: الله مولانا ولا مولى لكم، وكان أبو جهل يقول لنا العزى ولا عزى لكم.

(٨٢) تمثل إبليس في صورة سراقة بن مالك للمشركين وقال لهم: لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم، وكانت يده في اليد الحارث بن هشام أخي أبي جهل، فلما رأى الملائكة انتزع يده من يده ثم نكص على عقبيه، فقال له الحارث: يا سراقة أتزعم أنك جار لنا؟ قال اني بريء منكم ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ﴾. فتشبث به الحارث وقال، والله لا أرى الا خفافيش يثرب– قال الحارث: ما علمت أنه الشيطان إلا بعد أن أسلمت. لما قتل رؤساء

المشركين قال أبو جهل: يا قوم لا يهولنكم قتل من قتل، فواللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمداً وأصحابه بالحبال... لا تقتلوهم ولكن خذوهم باليد.

(٨٣) ديوان مجد الإسلام، ص٤٧.

(٨٤) يراجع الديوان، ص٥١.

(٨٥) مسجورة: موقودة.

(٨٦) ديوان مجد الإسلام، ص٥٢.

(٨٧) أوجال: مخاوف.

(٨٨) ديوان مجد الإسلام، ص١١٩.

(٨٩) يراجع الديوان، ص١٢٠.

(٩٠) ديوان مجد الإسلام، ص٢٣٤.

(٩١) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، يحيى الجبوري، ص١٩٠.

(٩٢) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، يحيى الجبوري، ص١٧٨.

(٩٣) الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، بشرى محمد علي الخطيب، ص٢٧.

(٩٤) أمالي اليزيدي، لليزيدي، ص١٨.

(٩٥) التعازي والمراثي، للمبرد، ص٢٧.

(٩٦) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص١٧٩.

(٩٧) الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، ص٢٧.

(٩٨) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٩٩) الثأر: الطلب بالدم، والثائر الذي لا يبقى على شيء حتى يدرك ثأره. ينظر لسان العرب، مادة (ثأد، ثأط).

(١٠٠) الرثاء، د.شوقي ضيف، ص٤٤.

(١٠١) الرثاء عند نزار قباني (قصيدة بلقيس أنموذجاً) دراسة فنية نفسية، بحث مقدم إلى كلية التربية، جامعة ديالى، م.م.ربى عبد الرضا، ص٤.

(١٠٢) الافياء: الظلال.

(١٠٣) ضاع: فاح وانتشر.

(١٠٤) ديوان مجد الإسلام، ص٥٤-٥٥.

(١٠٥) المصدر نفسه، ص٥٦.

(١٠٦) ساغ الطعام وأساغه وهو أجود سهل مدخله في الحلق.

(١٠٧) جمع فلذة: وهي القطعة من الكبد ونحوها، والسم المنقع: المربى.

(١٠٨) ديوان مجد الاسلام، ص٨٣.

(١٠٩) المصدر نفسه، ص٨٨.

(١١٠) المصدر نفسه، ص٨٨- ٨٩.

(١١١) المصدر نفسه، ص٨٩.

(١١٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(١١٣) أثخنته الجراحة: أوهنته وأعجزت قواه.

(١١٤) ديوان مجد الإسلام، ص١٧٧.

(١١٥) الوجد: الألم، والشجو: الحزن.

(١١٦) ديوان مجد الإسلام، ص١٧٨.

(١١٧) المصدر نفسه، ص٤٥٠.

(١١٨) الفخر والحماسة، ص٥٠، ٧٦.

(١١٩) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ص١١٨.

(١٢٠) العمدة، ابن رشيق القيرواني، ٢/ ٢٩٤.

(١٢١) الوصف وتطوره في الشعر العربي، ايليا الحاوي، ص٤٩.

(١٢٢) أمراء الشعر، أنيس المقدسي، ص٩٧.

(١٢٣) كتيبة: قطعة من الجيش، تهفو: تسرع، وفي البيت وما بعده إشارة إلى إمداد الله المسلمين بالملائكة في غزوة بدر ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾، سورة الأنفال، ٩/ ٩.

(١٢٤) مجلجلة: مرعدة، وأجنح: جمع جناح.

(١٢٥) القارح من الخيل: الذي شق نابه وطلع.

(١٢٦) حيزوم: اسم فرس جبريل عليه السلام.

(١٢٧) ترضح: تكسر.

(١٢٨) عتبة بن ربيعة. برز للقتال فجاءه فتية من الأنصار فقال. إنما أريد اكفائي من قريش ونادى مناديهم يا محمد اخرج إلينا اكفاءنا فأمر بعبيدة بن الحارث وحمزة وعلي ﷺ فقتل علي الوليد، وقتل حمزة عتبة، وتبادل عبيدة وشيبة ضربتين أثرتا فيهما فكر حمزة وعلي فأجهزا على شيبة. ثم احتملا عبيدة ومخ ساقه يسيل وكانت الضربة في ركبتيه فأفرشه النبي قدمه الشريفة فوضع خده عليها فقال له ﷺ: اشهد انك شهيد، قال عبيدة: وددت والله لو أن أبا طالب كان حيا ليعلم إننا أحق منه بقوله ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن ابنائنا والحلائل. ينظر الديوان، ص٤٤.

(١٢٩) ابو جهل ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح. ومعوذ بن عفراء من الانصار واجهز عليه ابن مسعود، ونوفل بن خويلد، قال النبي: من له علم بنوفل بن خويلد. قال علي انا قتلته. فكبر ﷺ وقال: الحمد لله الذي اجاب دعوتي فيه. فأنما لما التقى الصفان نادى نوفل بصوت رفيع: يامعشر قريش. اليوم يوم الرفعة والعلا، فقال النبي ﷺ اللهم أكفني نوفل بن خويلد الفاحش المتوقح المراد به أبو جهل لعنه الله وهو المسمى فرعون هذه الامة عل لسان الرسول الكريم وارعوى كف. ينظر الديوان، ص٤٥.

(١٣٠) لما جيء للنبي برأس أبي جهل سجد لله شكرا، وقال الحمد لله الذي اعز الإسلام وأهله، الله اكبر، الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده. ينظر الديوان، ص٤٥.

(١٣١) الحتوف: جمع حتف وهو الموت.

(١٣٢) سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة. ودلفا: تقدما، والحسام العضب: السيف القاطع، ولاذا: لجأ، وجذاذاً: قطعان وفلولا: منهزمين.

(١٣٣) نصل السهم حديدته. والنصول جمع. ديوان مجد الإسلام، ص٧٣.

(١٣٤) هو أبو دجانة. كان له عصابة حمراء يعصب بها رأسه في الحرب فسميت عصابة الموت، وجعل لا يلقى أحدا إلا قتله بالسيف الذي أخذه من رسول الله، وكان يشحذه بالحجارة كلما كل فما زال يضرب به حتى انحنى وصار كأنه منجل. يختليها: يجزها أو ينزعها تشبيها لها بالخلا الرطب إذا فعل به ذلك.

(١٣٥) الوحى: السريع.

(١٣٦) هند سمعها أبو دجانة تحرض على القتال أشد التحريض فحمل عليها بسيفه يظنها رجلا فولولت فأعرض عنها إكراما لسيف رسول الله ﷺ. ديوان مجدا الإسلام، ص٨١.

(١٣٧) أحجره: غطاه وستره، كناية عن بقائهم في الحصن، رام مكانه: زال عنه وفارقه.

(١٣٨) يرنق: بمعنى يكدر.

(١٣٩) جمع سدول وهو الستر.

(١٤٠) ديوان مجد الإسلام، ص١٦٨- ١٦٩.

(١٤١) فن الوصف وتطوره في الشعر العربي، إيليا الحاوي، ١/ ٨.

(١٤٢) ديوان بشار بن برد، ص٤٦.

(١٤٣) سورة النحل، ١٤/ ٩١.

ثبت بأسماء المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري، قحطان رشيد التميمي، ط١، دار المسرة، بيروت، (د.ت).

٢- الأدب الحديث، عمر الدسوقي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م.

٣- أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، بطرس البستاني (ت١٣٥١هـ)، دار مارون عبود، ١٩٧٥م.

٤- الأدب المعاصر في مصر، د.شوقي ضيف، ط٥، دار المعارف بمصر، مكتبة الدراسات الأدبية، ١٩٧٤م.

٥- أصداء الدين في الشعر المصري الحديث من مطلع العصر الحديث إلى ثورة ١٩١٩م، سعد الدين محي الجزاوي، ط١، مكتبة نهضة مصر، الفجالة، (د.ت).

٦- الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين)، خير الدين الزركلي، ط٣، (د.ت).

٧- أمالي اليزيدي، اليزيدي، ط١، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٩٤٨م.

٨- أمراء الشعر، أنيس المقدسي، ط٨، بيروت، ١٩٩٦م.

٩- بردة البوصيري واثرها في شعر المديح النبوي الذي نهج نهجه حتى عام ١٩٣٢م، طارق أمين ساجر لرفاعي، إشراف: د.احمد مطلوب، كلية الآداب، جامعة بغداد، لنيل درجة الماجستير، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

١٠- تطور الأدب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى الثانية، احمد هيكل، ط٦، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٤م.

١١- تطور الرواية العربية، د.عبد المحسن بدر، دار المسرة، بيروت، ١٩٧٥م.

١٢- التعازي والمراثي، أبو العباس المبرد، تحقيق: محمد الديباجي، مطبوعات المجمع العلمي، دمشق، ١٩٧٦م.

١٣- التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي (٢٨٥هـ)، مجاهد مصطفى بهجت، ط١، تنفيذ وتصميم موسوعة المطبوعات العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

١٤- حكاية الأدب العربي المعاصر، خالص عزمي، (د.ت).

١٥- دراسات في الشعر والشعراء، د.يونس السامرائي، مطابع دار الحكمة، الموصل، ١٩٩٠م.

١٦- دراسات في الشعر العربي المعاصر، د.شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف، مصر، القاهرة، (د.ت).

١٧- ديوان بشار بن برد، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت- لبنان، ١٩٦٣م.

١٨- ديوان طرفة بن العبد البكري مع شرح الأديب يوسف الأعلم الشنتمري، مطبعة برطرند، شالون، ١٩٠٠م.

١٩- ديوان عنترة بن شداد العبسي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٢٠- ديوان مجد الإسلام أو (الإلياذة الإسلامية)، أحمد محرم، اشرف على تصحيحه ومراجعته: محمد إبراهيم الجيوشي، مطبعة المدني، مكتبة دار العروبة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

٢١- الرثاء، د.شوقي ضيف، دار المعارف، (د.ت).

٢٢- الرثاء عند نزار قباني (قصيدة بلقيس أنموذجا) دراسة فنية نفسية، م.م.ربى عبد الرضا التميمي، بحث مقدم مجلة ديالى للبحوث العلمية والتربوية، العدد ٢٥، لسنة ٢٠٠٦م.
٢٣- الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، بشرى محمد علي الخطيب، بغداد، ١٩٧٧م.
٢٤- شاعر العروبة والاسلام (احمد محرم)، محمد إبراهيم الجيوشي، ط١، مطبعة السعادة، مكتبة دار العروبة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.
٢٥- شرح ديوان المعلقات السبع، الزوزني، ط١، مكتبة المعارف، بيروت، (د.ت).
٢٦- شعر الرثاء العربي واستنهاض العزائم، د.عبد العزيز سالم، ط١، دار القلم، بيروت- لبنان، ١٩٧٥م.
٢٧- شعراء العرب المعاصرون، احمد زكي أبو شادي.
٢٨- الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، يحيى الجبوري، ط٦، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ١٩٩٣م.
٢٩- الشوقيات، أحمد شوقي، مقدمة الطبعة بقلم: د.محمد حسين هيكل، طبع على مطابع دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).
٣٠- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الازدي (ت٤٥٦هـ)، تحقيق: محمد محي عبد الحميد، ط٤، دار الجيل، بيروت- لبنان، ١٩٧٢م.
٣١- فن الهجاء وتطوره في الشعر العربي، إيليا الحاوي، ط١، منشورات دار الشرق الجديد، بيروت، ١٩٦٠م.
٣٢- فن الوصف وتطوره في الشعر العربي، إيليا الحاوي، ط٣، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، ١٩٨٠م.
٣٣- في الأدب الحديث (الشعر بعد البارودي)، عمر الدسوقي، ط٦، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ١٩٦٧م.
٣٤- كتاب الاغاني، أبو الفرج الاصبهاني علي بن الحسن بن محمد القرشي (ت٣٥٦هـ)، إشراف وتحقيق: إبراهيم الابياري، طبعة خاصة تصدرها دار الشعب، ١٣٨٩هـ/ ١٩٩٥م.

٣٥- لسان العرب، لابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م.
٣٦- مشاهير شعراء العصر (الأقطار العربية الثلاثة مصر، سوريا، العراق) كتاب تراجم، احمد عبد الحميد، مطبعة الترقي، ١٩٩٢م.
٣٧- معالم الأدب الإسلامي، عمر عبد الرحمن الساريسي، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
٣٨- المجلة المصرية، العدد١٦، السنة الثالثة، (كيف ينظم شعراؤنا)، سنة ١٩٠٩م.
٣٩- نقد الشعر، قدامة بن جعفر (ت٣٢٧هـ)، تحقيق: كمال مصطفى، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٤٨م.
٤٠- الوصف وتطوره في الشعر العربي، إيليا الحاوي، ط١، دار الكتب، بيروت- لبنان، ١٩٦٧م.